الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الآثار



مذكّرة الدروس في مادّة:

المعالم والطقوس الجنائزية

لطلبة السنة الثانية آثار - ليسانس

من إعداد: د. مراد زرارقة

أستاذ محاضر "أ"

السنة الجامعية:

2021-2022م

مادّة : "المعالم والطقوس الجنائزية".

هذه المادّة مدرجة ضمن وحدة التعليم الاستكشافي للسداسيين الثالث والرابع في برنامج طلبة السنة الثانية "علم الآثار" بقسم الآثار بجامعة 8 ماي 1945- قالمة-

الحجم الساعي : 36

الأرصدة: 03

الهدف من هذا المقياس: يهدف هذا المقياس تعريف الطالب بمختلف المعالم والطقوس الجنائزية منذ فترات ما قبل التاريخ إلى غاية الحقبة البيزنطية، مع إبراز الطقوس والعادات الجنائزية السائدة آنذاك.

I. مضمون المقياس في السداسي الثالث:

أولا: مدخل حول بداية عمليات وطرق الدفن.

ثانيا: العمارة الجنائزية.

1. المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية.
2. القبور العادية وأنماطها.
3. القبور المبنيّة.
4. الدفن داخل الأمفورات، الجرار، الأواني الفخّارية.
5. شواهد القبور.
6. المناسي (الموائد الجنائزية).
7. طاولات القرابين.

II. مضمون المقياس في السداسي الرابع:

أولا: الأثاث الجنائزي.

1. الأواني الفخارية.
2. الأثاث المعدني.
3. الأواني الزجاجية.

4. اللقى المتنوّعة

ثانيا: العادات والطقوس الجنائزية.

1. طرق التعامل مع الجثّة ما بعد الموت.
2. طرق ووضعيات الدفن.
3. المعتقدات الدينية والجنائزية.

مدخل:

الموت هو نهاية أجل الإنسان على الأرض وابتداء مرحلة الحياة الآخرة، حيث يغيب فيها جسد الإنسان وروحه عن مشاهدة النّاس ومعاينتهم حينما يوارونه أهله في التّراب داخل مدافن تعددت أنواعها وأنماطها.

عرف الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض الكيفيّة التي يدفن فيها الموتى، ولقد كان لمعرفة الإنسان بهذه الكيفيّة مناسبة معيّنة وهي حادثة القتل الأولى في تاريخ البشريّة حيث قتل قابيل ابن آدم عليه السّلام أخوه هابيل، فكيف استدل قابيل على الطّريقة التي يدفن فيها أخاه هابيل؟. اكتشاف طريقة دفن الميت بعد أن قتل قابيل أخاه هابيل جلس بجانب جثّته محتارًا في أمره ومتسائلًا في نفسه عن الكيفيّة التي يخفي فيها جريمته عن أهله، وقيل إنّه وضعه في جراب ثمّ حمله على ظهره وهو لا يدري كيف يدفنه، وبينما هو كذلك " فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه ".

ثقافات دفن الميت عند الشعوب، اختلفت من فترة وحضارة إلى أخرى وفق معتقداتها وتقاليدها وطقوسها في طريقة دفن أمواتها.

أولا: مدخل حول بداية عمليات وطرق الدفن:

بيّنت العديد من التقارير اعتناء الإنسان بدفن موتاه منذ فترات ما قبل التاريخ، وقد بدأ هذا السلوك منذ العصر الحجري القديم الأوسط إفتراضا لبداية هذا المعتقد مع إنسان نياندرتال في فلسطين وأوروبا بما شملته من مكتشفات أثرية في هذا الموضوع، فهذا لا يعني بأن الإنسان

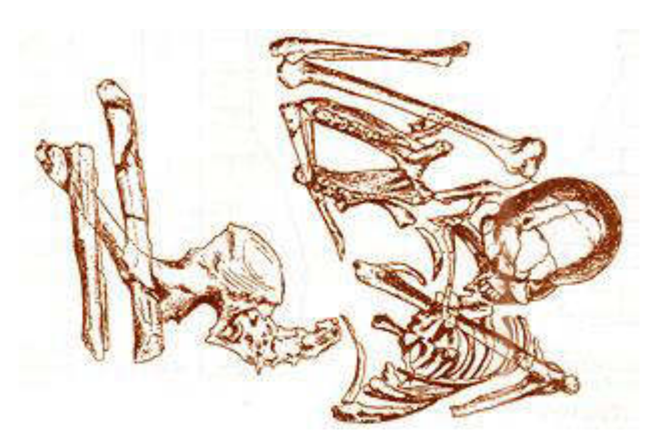
في شمال إفريقيا كان ما يزال يهمل جثث موتاه في الطبيعة كما كان في الحقب السابقة، بل النقص الكبير في الأبحاث الأثرية لعصور ما قبل التاريخ، كان ومازال السبب الرئيسي في عدم العثور على البقايا الجنائزية لإنسان هذه الفترة في شمال إفريقيا.

أقدم مخلّفات عمليات الدفن:

- **موقع سخول بفلسطين:** تم التنقيب عنه منذ عام 1929، وبشكل أكثر تحديدًا في عام 1930 من قبل دوروثي جارود (جامعة كامبريدج)، أسفر موقع Skhül عن 10 هياكل عظمية (7 بالغين و 3 أطفال) و 16 عظمة معزولة. كانت جميع الأحافير في وضع مطوي، ودُفنت في حفر ضحلة. ويقدر تأريخ القبور أعمارها بـ 100 ألف سنة. وبالتالي فهذه هي أقدم المقابر التي تم العثور عليها حتى الآن.

أظهرت بعض الهياكل العظمية كسورًا حدثت بالتأكيد أثناء القتال والحوادث.

وفي الرسم الموالي هيكل عظمي لرجل مصحوب بفك سفلي من suidae (خنزير) يتم وضعه معتمدا على الجسم.

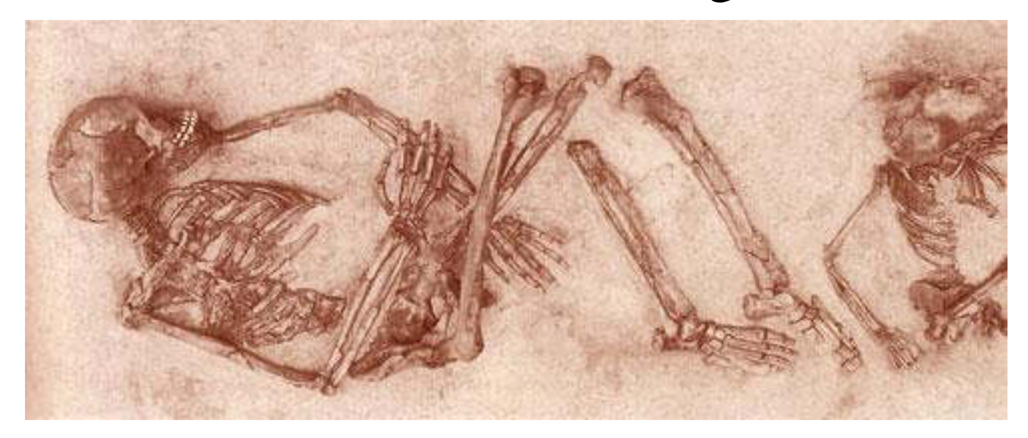


- **قبور قفزة** - 92000 سنة

تعود أولى أعمال التنقيب في موقع قفزة إلى ثلاثينيات القرن الماضي، وكان قنصل فرنسا في القدس وعالم ما قبل التاريخ رينيه نوفيل هو من قام بالاكتشافات الأولى. في عام 1965، استأنف عالم الأنثروبولوجيا برنارد فانديرميرش أعمال التنقيب في الموقع. تم اكتشاف 25 هيكلًا عظميًا في المواقع، بالإضافة إلى العديد من العناصر التي تثبت وجود صناعة حجرية.

باستثناء القفزة 9 و 10، احتوت جميع المدافن على فرد واحد فقط (مدافن بسيطة). جميع الرفات البشرية من الإنسان الحديث، وبالتالي تنتمي إلى النوع Homo sapiens. بعضها له خصائص مشابهة لتلك الخاصة بـ Cro-Magnon.

قفزة 9 وقفزة 10: تم اكتشاف الدفن المزدوج في عام 1967، ويتكون من جسد امرأة تبلغ من العمر 20 عامًا وجسد طفل يبلغ من العمر 6 سنوات. لقد ثبت أن هذين الشخصين قد دفنا في وقت واحد. إنه الدفن المزدوج الوحيد المعروف من العصر الموستيري.



امرأة تبلغ من العمر 20 عامًا وهيكل طفل يبلغ من العمر 6 سنوات

هل كان دفن الموتى يمارسه إنسان نياندرتال أم أنه ابتكار فريد بالنسبة لجنسنا؟ هناك أدلة لصالح الفرضية الأولى، لكن بعض العلماء كانوا متشككين. لأول مرة في أوروبا، يوضح فريق متعدد التخصصات يضم على وجه الخصوص التاريخ الطبيعي لمختبر إنسان ما قبل التاريخ (CNRS / Muséum national d'histoire naturelle) بمعايير متنوعة أن طفل إنسان نياندرتال قد دُفن على يد عائلته، وربما كان ذلك منذ 41000 عام تقريبًا على موقع Ferrassie-Dordogne). نُشرت دراستهم في مجلة Scientific Reports في 9 ديسمبر 2020.

- موقع لافيراسي ومقصورة القدّيسين: تم اكتشاف العشرات من الهياكل العظمية المدفونة لإنسان نياندرتال في أوراسيا، واستنتج بعض العلماء أن إنسان نياندرتال، مثلنا، دفن موتاهم. كان البعض الآخر متشككًا لأن الحفريات التي كشفت عن معظم الهياكل العظمية المحفوظة في بداية القرن العشرين لم يتم تنفيذها وفقًا لمعايير الجودة الحالية.

في هذا السياق، قام فريق دولي 1 بقيادة علماء الأنثروبولوجيا القديمة أنطوان بالزو، من المركز الوطني للبحث العلمي والمتحف الوطني للتاريخ الطبيعي، وآسير جوميز أوليفنسيا، من جامعة إقليم الباسك (إسبانيا)، بتحليل هيكل عظمي للإنسان من أحد أشهر مواقع الإنسان البدائي في فرنسا: ملجأ الصخور في La Ferrassie، في Dordogne. بعد اكتشاف ستة هياكل عظمية لإنسان نياندرتال في بداية القرن العشرين، كان الموقع قد سجل سابع هياكل عظمية بين عامي 1970 و 1973، وهي تعود لطفل يبلغ من العمر حوالي عامين. ولكن لما يقرب من نصف قرن، ظلت المجموعات المرتبطة بهذه العينة غير مستغلة في محميات المتحف الأثري الوطني.

أعاد الفريق متعدد التخصصات الذي جمعه الباحثان فتح كتب التنقيب وراجع المواد التي تم جمعها في ذلك الوقت، وكشف عن 47 عظمة بشرية جديدة لم يتم التعرف عليها أثناء الحفريات، تنتمي بلا شك إلى نفس الهيكل العظمي. قام العلماء أيضًا بتحليل العظام بعمق: حالة الحفظ، ودراسة البروتينات، وعلم الوراثة، والتأريخ... عادوا أخيرًا إلى La Ferrassie على أمل العثور على أجزاء أخرى من الهيكل العظمي - دون جدوى. لكن هذه العودة إلى الميدان، المرتبطة بدفاتر أسلافهم، جعلت من الممكن إعادة بناء وتفسير التوزيع المكاني للرفات البشرية وعظام الحيوانات النادرة المرتبطة بها.

أظهر الباحثون أن الهيكل العظمي يقع في طبقة من الرواسب مائلة باتجاه الغرب (الرأس، في الشرق، أعلى من الحوض)، بينما الطبقات الستراتيغرافية الأخرى في الموقع مائلة نحو الشمال. بقي وضع العظام، المتناثرة نسبيًا، متسقًا مع علم التشريح. يشير حفظها، أفضل من عظام البيسون والحيوانات العاشبة الأخرى الموجودة في نفس الطبقة، إلى سرعة دفنها بعد الموت. علاوة على ذلك، وجد أن محتوى هذه الطبقة أصغر من الرواسب المحيطة 2. أخيرًا، تم تحديد عظمة صغيرة على أنها إنسان من خلال البروتينات المخزنة بداخلها وكإنسان نياندرتال بواسطة الحمض النووي للميتوكوندريا، وتم تحديد تاريخها مباشرة بواسطة طريقة الكربون 14. يبلغ عمرها حوالي 41000 عام، مما يجعلها واحدة من أحدث بقايا إنسان نياندرتال مؤرخة بشكل مباشر.

لذلك تم وضع جسد طفل نياندرتال يبلغ من العمر عامين في حفرة محفورة في طبقة رسوبية، ربما قبل 41000 عام. ستكون هناك حاجة إلى مزيد من الاكتشافات لفهم التسلسل الزمني والمدى الجغرافي لممارسات دفن الإنسان البدائي.



تشكيل دفن انسان نيندرتال بالوضعية الجانبية المنطوية



موقع مقصورة القدّيسين بفرنسا



حفرة الدفن داخل مغارة مقصورة القدّيسين

- **موقع شانيدار**: يبدو أن الهيكل العظمي لإنسان نياندرتال الذي تم اكتشافه مؤخرًا في شمال العراق يدعم النظرية القائلة بأن أسلاف الإنسان الحديث في العصور القديمة كان لديهم طقوس الدفن.

الهيكل العظمي الذي تم العثور عليه في كهف شانيدار في إقليم كردستان هو لشخص بالغ عاش قبل حوالي 70 ألف عام. عززت حبوب اللقاح الموجودة في الأرض، بجانب الهيكل العظمي، مصداقية طقوس الدفن بما في ذلك وضع الزهور بالقرب من الجثة.

بحلول منتصف القرن العشرين، كان الكهف موقعًا لواحد من أهم اكتشافات إنسان نياندرتال في كل التاريخ الأثري، مع عظام تنتمي إلى عشر جثث تم اكتشافها من قبل الباحثين.

الجزء الخارجي من كهف شانيدار في شمال العراق عام 2005.

يبدو أن الهيكل العظمي لإنسان نياندرتال الذي تم اكتشافه مؤخرًا في شمال العراق يدعم النظرية القائلة بأن أسلاف الإنسان الحديث في العصور القديمة كان لديهم طقوس الدفن.

الهيكل العظمي الذي تم العثور عليه في كهف شانيدار في إقليم كردستان هو لشخص بالغ عاش قبل حوالي 70 ألف عام. عززت حبوب اللقاح الموجودة في الأرض، بجانب الهيكل العظمي، مصداقية طقوس الدفن بما في ذلك وضع الزهور بالقرب من الجثة.

بحلول منتصف القرن العشرين، كان الكهف موقعًا لواحد من أهم اكتشافات إنسان نياندرتال في كل التاريخ الأثري، مع عظام تنتمي إلى عشر جثث تم اكتشافها من قبل الباحثين.

كانت حبوب اللقاح التي عُثر عليها بجوار عظام إنسان نياندرتال في عام 1960 قد دفعت عالم الأنثروبولوجيا رالف سوليكي إلى اقتراح أن المتوفى ربما يكون مدفونًا بالزهور - وهو اقتراح صادم في الوقت الذي كان يُنظر فيه إلى الإنسان من إنسان نياندرتال على نطاق واسع على أنه كائن فقير، وبالكاد ذكي.

كانت هناك شكوك حول وجود حبوب اللقاح. كان قد تم التكهن بأنه ربما تم إيداعه لاحقًا بواسطة الحيوانات أو ما شابه ذلك.

لكن العلم غيَّر بعد ذلك وجهة نظره حول إنسان نياندرتال مع تزايد الأدلة على وجود نوع أقرب، من حيث التطور، إلى الإنسان العاقل أكثر مما كان يُقترح سابقًا.

أعادت فرق من الباحثين تقديم أنفسهم إلى الكهف في السنوات الأخيرة للعثور على المزيد من البيانات، وقد تطورت الأساليب العلمية بشكل كبير منذ الستينيات.يبدو أن وجود حبوب اللقاح القديمة على الهيكل العظمي الجديد يدعم نظرية سوليكي، وفقًا للدراسة التي تم في مجلة العصور القديمة.

يبدو أن وضع الهيكل العظمي ووضعه يشير أيضًا إلى أن الدفن كان متعمدًا.



موقع كهف شانيدار بالعراق

أمّا بالجزائر، فأقدم المعتقدات الجنائزية المعثور عليها ترجع إلى فترة العصر الحجري القديم المتأخّرEpipaléolithique في كل من موقعي أفالو ببجاية وتافوغالت بالمغرب الأقصى. فالإنسان المعروف بالأيبيري المغربي Ibero-Maurisien الساكن قرب المغارات أو على مداخلها، كان يدفن موتاه داخل المغارات وبوجه التحديد على حواف جدرانها الداخلية.

ونفس المنهج اقتدى به سكّان العصر الحجري الحديث القاطنين على مشارف المغارات، ومع نهاية هذا العصر إبتعدت القبائل والعشائر عن المغارات الطبيعية وعن إستعمالها كمأوى للأموات، فأتّخذت كأماكن مقدّسة خاصّة للعبادات، فبقي هذا السلوك ممارسا إلى غاية الفترة الرومانية حيث هناك عدّة مغارات في مقاطعة نوميديا خصّصت لتبجيل المعبودات المحلية، كالمعبود بكاكس بغار الجماعة في جبل الطاية، كما نجد هذا السلوك مازال متنامي في بعض المناطق عندنا، حيث تعتبر المغارات كمأوى للنيام السبع وخاصة منها تلك المغارات الموجودة قرب المواقع الأثرية كمغارة سبع رقود الطبيعية الواقعة في جرف ومنحدرات تعلوها مصاطب وبازينات موقع إيشوقّان، فيرى قزال بأن المعتقدات داخل المغارات هو سلوك قديم، ترجع أصوله إلى ما قبل التاريخ[1].

فربّما لهذا الغرض المقدس للمغارات والذي بدأ مع نهاية العصر النيوليتي، توقّفت عمليّات الدفن بداخلها إلاّ في بعض الحالات الفردية والمعزولة.

لكن قبل فترة النيوليتي بقليل، بدأت المعالم الجنائزية في الوضوح خاصّة في موقعي كولمناتا[2] وفي الرمادية الساحلية المقابلة لجزيرة رشقون[3] أين عثر على بقايا بشريّة مغطّاة بطبقة حجرية داخل طبقات ترابية رمادية.

أمّا الانتشار الواسع للمدافن في مجموعات محدودة العدد أو داخل مقابر حقيقية، فيصل ذروته مع نشأة مختلف التنظيمات الاجتماعية للقبائل البربرية القديمة كالجيتول في المناطق الجنوبية، النتابوت في منطقة قالمة، الموزولام في منطقة سوق أهراس وضواحيها الجنوبية، وتبسّة وجزء من القطر التونسي، والماسيل في منطقة قسنطينة والمزيكيري بضواحي القالة.

---

[1]- Gsell S., Histoire ancienne de l'Afrique du nord. T.I. paris 1921. p. 256.

[2]- Cadenat p, Nouvelle fouille de columnata.Libyca.A.P.E. T. III.1955.p.279.

[3]- Gsell S., op. cit.pp 271-272.

أين شهدت هذه المناطق عددا جد معتبر من أنواع المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية ذات الأنماط المتنوعة كالتلال الجنائزية، البازينات، القبور القلاعية، المصاطب والأضرحة.

ثانيا: العمارة الجنائزية.

1. المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية.

قبل الخوض في إبراز أهم أنماط قبور هذا الصنف، يتعيّن علينا تقديم مفهوم لمصطلح الميغاليثية وشبه الميغاليثية الموضّح من قبل أهم المختصين لهذه الثقافة التي عموما ما أرّخت ابتداءا من نهاية النيوليتي في أوروبا، وبفترة فجر التاريخ بشمال إفريقيا.

1.1 تعريف الميغاليثية

يرجع جوزيف ديشلات.Déchelette j نشأة المعالم الميغاليثية وتزامنها مع العصر الحجري الحديث، إلى "كثافة العائلة البشرية التي كانت في ازدياد مستمر أين بدأت الحياة الاجتماعية بالانتظام ونضج الوعي، مسلّمة بقدرة وقوّة مستمدّة من دوافع عقائدية أدّت بانجاز أشغال كبرى في البناء الجنائزي، وقد ساهم في دعم هذا الانجاز، العادات المتمثلة في الاستقرار الذي كان ناتج الفعل الزراعي. فمن خلال هذا المجهود الجماعي أنشأت هذه المعالم الضخمة الصمّاء بقوة الإيمان الذي يولّد استمرارية في حياة الإنسان، فبعد دفن جثّته تخلق العمارة. وينجز مأوى الميّت حسب نمط مأوى الأحياء لكن بمواد صلبة ذات طبيعة تحمى من خلالها القبور ضد كل تخريب وكل سبل التهديم"[1] تأريخها ودورها فهي مختلفة لكن بفرنسا وأوربا تدرج جلّها في مرحلة النيوليتي وبداية فترة عصر البرونز.[2]

1.2 مفهوم الميغاليث:

تطرّق لهذا المفهوم عدّة باحثين منذ نهاية القرن التاسع عشر نستهلّ أهمّهم بـ:

-جوزيف ديشلات J. Déchelette

[1]Dechelette, J. 1908 Manuel d'archéologie préhistorique T.1 p.373.
[2]Déchelette, Ibid., p.374.

الذي يرى بأنّه مستمد من اللغة الإغريقية وتعني الحجر الكبير، وهي بمثابة مجموعة من المعالم البدائية متكوّنة من صخرة أو عدّة صخور صمّاء أو مشذّبة بكيفية عامّة. وقد حافظ السكان السلتيون على مفردات هذه المعالم الضخمة وذلك إلى غاية القرن 18، حيث منحوا لها أسماء مشتقّة من البروطونية. وبقيت هذه التسميات مستعملة في فرنسا بإدراجها في المفردات العلمية لأول مرّة من طرف Legrand d'Aussy (1737-1800) في مذكّرته حول"المقابر الوطنية القديمة".

ومن مجمل هذه التسميات بالبروطونية والتي مازالت تستعمل عندنا أيضا نجد:

المسلاّت الصمّاء والتي تعرف أيضا بالصخور المنصوبة، الصخور الواقفة أو الأنصاب الطويلة كانت تدعى بـ AR-MEN-IR (Menhir)، ونمط أخر تحدّث عنهLa tour d'Auvergne Coret حول إحدى الموائد المسمّاة بالبروطونية DOLMIN (Dolmen). وقد تعمّم استعمال هاته التسميات في مذكّرات الأكاديمية السلتية [1].

- مارسيل أوت M. Otte

قدّم تعريف للميغاليثية ويقول بأنّه يعنى بها المعالم المبنية بحجارة كبيرة عموما، وهي على هيئتين إثنتين: الحجارة المنصوبة والحجارة المجمّعة، ويمكن ضمنها ادراج الحوانيت الكبيرة القريبة من التصاميم الميغاليثية المنتشرة بالبحر الأبيض المتوسّط، كان يمنح لها إسم Cairns حينما كانت تغطّى في الكثير من الأحيان بأكوام حجرية وTumulusعندما تكون تحت كتلة ترابية. وعليه كان نمطهم وشكلهم مخالف لما تظهر عليه في الوقت الحالي، فكان المعلم يفرض نفسه في المشهد آنذاك. وعن طريقة بناءها، يقول بأن ضخامتها وغلظتها، تتطلّب تنظيم اجتماعي محكم وأعداد سكّانية معتبرة. هذا ما بيّنته تجارب إعادة تشكيل هذا النوع من المعالم، حيث تتطلّب هذه العمليّة مئات الأشخاص يشتغلون في تنظيم محكم. فهذه التعبئة الجماعية تفرض وجود اعتقاد عميق وجد واسع، فالطقوس الكامنة لهذه الأشغال الجماعية

[1] الأكاديمية السيلتية تحولّت إلى المجتمع الملكي للتحف العتيقة بفرنسا في 1814.

تميّز مدى الإيمان والعاطفة الشاملة بينهم. ويضيف بأنّ هذه البناءات الواسعة، تعدّ بمثابة أولى الشواهد المعمارية المعروفة المتحكّم بها منذ الألفيّة الخامسة قبل الميلاد[1].

وعن توزيعها الفضائي يرى[2] بأنّه يغطّي كامل الجهة الغربيّة لأوروبّا خاصّة منها واجهة المحيط الأطلسي وجزر البحر المتوسّط وجنوب اسبانيا، البرتغال، فرنسا، بريطانيا، اسكتلاندا، ايرلاندا، بلجيكا، ألمانيا والدانمارك. ولها توزيع كرونولوجي واسع حيث يِؤرّخ أقدمهم بالألفية الخامسة قبل الميلاد بحوالي 4500 ق.م. بالبرتغال وبروطونيا، وتتواصل خلال الألفيّة الثالثة وبداية الألفيّة الثّانية ق.م. في أوروبّا أي خلال النيوليتي الأوسط والكالكوليتي.

أمّا عن انتشارها خارج البلدان الأوروبيّة فيرى Otteبأنّ الميغاليثية قد توسّعت إلى مناطق عدّة من العالم وترجع إلى فترات تأريخية حديثة في كل من إفريقيا الشمالية، الصين،اليابان، كوريا، مدغشقر، اليمن واندونيسيا.

- لورون جاك كوستا L.J. Costa:

أعاد شرح مفهوم الميغاليثية الكلاسيكي والذي يرى بأنّه متكوّن من كلمتين ذات أصول إغريقية Mégas بمعنى كبير وLithos وتعني حجر (الحجر الكبير)، والميغاليثية دلالة على المعالم المتكوّنة من صخور ضخمة مهما كانت تركيباتها صمّاء أو معدّلة. وبناءا على هذا التعريف يرى بأنّ معظم المعالم الحجرية العائدة للمجتمعات التي لم تعرف المعادن يمكن إدراجها في الميغاليثية، وعليه فإن أهرامات مصر ومعابد المايا وأضرحة التلايوت بجزر الباليار والدولمن البروطونية، فهي كلّها تدرج ضمن المعالم الميغاليثية[3].

ويضيف بأنّه بعد انعقاد المائدة المستديرة بـ Sables d’olonne (Vendée) أين تمّ وضع مرجعيّة للمصطلحات المرتبطة بالميغاليثية، انبثقت منها أنّ تسمية ميغاليث كانت مخصّصة حصريا للأنصاب الحجرية الواقفة (المنهير) سواء معزولة أو مجمّعة وأخرى مكوّنة لهندسة معلم كالدولمن والأروقة المغطاة المشتقّة منها. أمّا الهياكل المبنيّة بجدران مرصوصة بحجارة حتّى ولو كانت ضخمة، فهي مقصاة من المعالم الميغاليثية وهذا مهما كانت مقاسات الصخور

[1] Otte M., La protohistoire. Bruxelles 2008. PP.163-164.
[2] Otte M., Ibid. P.168.
[3] Costa J.L., Mégalithismes insulaires en Méditerranée. 2008, P. 9.

المستعملة.وبناءا على هذه التعريفات المتضاربة والمتباينة والتي يتّضح جليا بأنّها متناقضة مع مصطلح ميغاليث في حدّ ذاته الذي يكاد أن يكون أكثر من معبّر عن معناه، فالحجر الكبير يعني حجر كبير وليس نوع من أنواع المباني أو المعالم سواء كانت مدنيّة أو عسكريّة أو دينيّة أو جنائزيّة.

بينما أبحاث أخرى تعود للعشرية الأخيرة سمحت بالتعرّف على الوظيفة الجنائزية لمعظم التركيبات الميغاليثية وهي رؤية قد يكون فيها انحرافا ثانيا يستدعي التأكد في مواد بناء المعالم الجنائزية. وفي هذا السياق، يطرح Kinnes ian[1]، قضيّة استعمال المواد العضويّة كالخشب في بناء المعالم الجنائزية وهي مسألة متناقضة مع عبارة ميغاليثية، فيقول بأنّه يوجد ببريطانيا واسكتلندا عدد معتبر من التلال الجنائزية احتوت على هياكل ودعامات خشبية.

أيضا في لوكهيل Lockheel في اسكتلندا، في بداية الأمر كانت للغرفة جدران مبنية بصفوف من الحجارة الجافة بينما واجهات التل الجنائزي كانت من الخشب. وفي وايلاند سميثي Wayland-Smithy جنوب بريطانيا عثر أيضا على غرفة جنائزية خشبية سبقت إعادة بنائها غرفة ميغاليثية. ومؤخرا عثر Ian Hodder شرق انجلترا في منطقة Haddenham على تل جنائزي مدفون في مستنقع غرفته الجنائزية من الخشب كليا عثر عليها في حالة حفظ جيدة وهي متكوّنة من غطاء وجوانب وأرضية، كل جزء خشبي مستعمل في البناء قدرت مقاساته العرضية من 1.20م إلى 1,50م وقطعت أجزائها من شجرة لا يقلّ قطرها عن 1.50م، وبناءا على هذا السمك الغليظ فإن الألواح المستعملة فهي مشكلة مثل البلاطات الحجرية،وبداخل الغرفة وعلى الأرضية عثر على هياكل عظمية وفخاريات ترجع إلى النيوليتي الأوسط و تؤرّخ بحوالي 2800 ق.م.

فإذا ما رجعنا إلى مخطط معلم هدنهام، ومقاسات عناصره التكوينية وحتى وظيفته فنجد أنفسنا أمام "دولمن" لكنّه من الخشب.

---

[1]Kinnes I., Mégalithisme et société. Table ronde CNRS des Sables d'Olonne (vendée) 2-4 novembre 1987, sous la direction de Roger Joussaume. P.23

ولم يقتصر هذا النوع من المدافن على بريطانيا واسكتلندا بل ينتشر في عدّة مناطق من أوروبا كموقعي Tustrap وHerrup بالدانمارك و موقع Essome sur marne بشمال فرنسا والتي غالبا ما سمّيت بالدولمن الخشبية، فالعديد من الهياكل الجنائزية المبنيّة بالحجارة الصمّاء والخشب فهي أيضا تدعى أحيانا بالمقابر الميغاليثية[1].

أمّا بالصحراء، فقد عثر خلال الحفريّات بـ إيولن Iwelen على قطع خشبية، توضّح إستعانة البنّائين بهذه المادّة لتشكيل سقف الفضاء الفارغ (الغرفة التي توضع بداخلها الجثّة)، وكانت هذه الطريقة، الأكثر استعمالا في غرف التلال الجنائزية ذات الفوهة[2].

كما هناك معالم جنائزية محفورة في الجرف والكتل الصخرية، فنظرا لوظيفتها الجنائزية أدرجت أيضا في قائمة المعالم الميغاليثية والتي كان من الأفضل ترتيبها ضمن المعالم الثغرية أو المحفورة في الصخر، والتي تضمّ كل الهيئات والمباني مهما كانت وظيفتها سكنية أو دينية أو جنائزية.

وفي هذا السياق أيضا، يرى كوستا بأنّ انحرافا في المفاهيم يوشك في تعميم استعماله منذ وقت قصير ويتمثّل في إدراج صفة الميغاليثية على المعالم الجنائزية ذات المقاسات المحدودة والصغيرة الحجم، ويرجع هذا بأنّ استعمال صفة كبير يحمل في طيّاته الكثير من الذاتية حيث يعطي مثالا بأنّ الشيء الكبير يكون كذلك إلاّ إذا قورن بشيء آخر بناءا على سلّم تقييمي ذو حدود نسبية[3].

أمّا عن انتشارها، فقد تكون رؤية وفرضية L.J. Costa خيالية حينما ذكر بأنّ الجزر لها مكانة رائدة في انتشار وتركيز المعالم الميغاليثية سواء بجزر المحيط الأطلسي كإيرلاندا أو بالبحر الأبيض المتوسّط مثل كورسيكا وسردينيا، ويرجع هذا حسب اعتقاده بكون حياة الجزر تولّد سلوكات وتمثيل ذهني بسبب تقلّص ومحدودية المساحة التي تستلهم الإبداع الثقافي. فكانت جزر البحر الأبيض المتوسّط بمثابة أرض للميغاليثية أين أحصي تركيز هائل من المعالم (800 منهير، 100 تمثال منهير، 50 صندوقا من الدولمن بكورسيكا، أكثر من 200 دولمن وأروقة مغطاة

[1] Costa L.J., Op. Cit, P.10.
[2] Hachid M., Les premiers Berberes. Entre Méditerranée, Tassili et Nil. P. 286.
[3] Costa L.J., Op. Cit. P. 11.

و800 قبر عملاقا و700 نوراغا Nuraghi بسردينيا، فهي أرض تتطوّر بها العمارة الجنائزية بكيفية مذهلة ومعقّدة سواء كان ذلك على معابد مالطا أو النفيتا Navetas والتاولوس Taulosبجزر الباليار أو معالم سردينيا[1]. فهل حقّا هذه الجزر تعدّ بمثابة أرض للميغاليثية من حيث الإنتشار والتركيز كما يعتقده كوستا، فهذا أمر جد مستبعد إذا ما قورن بكثافة وانتشار العمارة الميغاليثية في شمال إفريقيا، أين تكاد تكون إحصائيات المقبرة الواحدة منها تفوق بكثير تعداد المعالم الميغاليثية بكل جزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسّط مجمولة.

- وعن شمال إفريقيا، يقول بيار سينتاس P. Cintas:

بأنّه يمكن القول أنّ انتشار فكرة الميغاليثية بالبحر المتوسط كانت سابقة بقليل لظهور التعدين بل بلغت بلاد المغرب خلال نهاية الحقبة النيوليتية، وبكل الأحوال قبل دخول المشارقة لشمال إفريقيا في عصر الحديد بكثير، حيث كانوا على صلة خاصّة بالمعبودات الشمسية...فالميغاليثية بإفريقيا ما هي إلاّ شاهدا لديمومة هذه العلاقات (أوروبا ببلاد المغرب) عبر الزمن[2]. ويضيف ليؤكّد بأنّ الفنيقيين لمّا جاءوا للإستيطان، لم يجلبوا معهم الحضارة الميغاليثية لبلاد المغرب، فاندثرت هذه الثقافة الميغاليثية في بلادهم، وبهذا ليست هناك أيّة دوافع لإعادة إقامة سلوكات هجرت ونسيت من طرفهم منذ أمد بعيد[3]

1.3 أنواع الميغاليثية:

لمعرفة درجة مدى تطابق المعالم الميغاليثية وشبه الميغاليثية المنتشرة في أوروبا عموما وبجزر البحر الأبيض المتوسّط خصوصا مع تلك المنتشرة ببلاد المغرب من حيث الشكل والوظيفة، سنركّز في هذا المحور على ذكر أنواع هذه المعالم التي أدرج عدد منها في كتب ومنشورات العديد من الباحثين كهمزة وصل في تصديرها إلى الشمال الإفريقي. وسوف نركّز بوجه التحديد على توضيح الدولمن الذي أجمع كل الباحثين إلى غاية اليوم بأنّه منتشرا على شمال إفريقيا أيضا.

1.3.1 الدولمن Dolmens

-رأي أرنال J. Arnal 1956 :

[1]Costa L.J., Ibid. P. 7.
[2]Cintas P., Éléments d'étude pour une protohistoire de la Tunisie. P.17.
[3]Cintas P. Op. cit. P.17.

وهو من السبّاقين في تعريف الدولمن سنة 1956، ويعرّفه بمثابة غرفة جنائزية مفتوحة، ميغاليثية عموما ومغطّاة بتل، موجّهة لإستقبال عدّة عمليّات للدفن، والغرفة الجنائزية المفتوحة حسب رأيه تعني بأنّ لكل دولمن فتحة تسمح بالولوج بداخله بدون تغيير هيكل عمارته[1].

وعن مصطلح "دولمن" يضيف بأنّه استعمل في كل من فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وسويسرا وألمانيا، غير أنّ الإنجليز يستعملون بخصوصه عبارة « Megalithic chamber tomb »

-رأي بايو G. Bailloud 1970 :

أكّد على أنّ الدولمن هو قبل كل شيء معلم مفتوح على إحدى أضلاعه، وبعبارة أخرى يحتوي على مغلاق في إحدى الجوانب يتحرّك عن قصد[2].

-رأي كلوت J. Clottes 1977:

الدولمن عبارة عن غرف ميغاليثية مفتوحة عموما وتكون متهوّية (بارزة) مبنيّة تحت تلال جنائزية يكمن دورها في استقبال عمليات دفن متعددة. وقد أخذ هذا التعريف عن الدكتور أرنال J. Arnal بإضافة عبارة دفن متعدد أو جماعي.

هذا التعريف يدرج في طياته كل ما يتعلق بالعمارة وما يهدف إليه بنّاؤا هذه المعالم من خلال تشييدهم لهذا النوع من المقابر التي تضمن لهم ديمومة الدفن بها وإعادة استعمالها[3].

-رأي دو لافرانشي F. de Lafranchi 1986 :

سلّم بكل التعريفات التي سبقته لكنّه انتقد فكرة الدّفن الجماعي بحكم تسعة أعشار المعالم المكتشفة هي فارغة من محتوياتها، ويضيف بأنّ الدولمن هي معالم مفتوحة من أحد الأضلاع وتكون مخطّاة ببلاطة فريدة[4].

-رأي لو رو C.T. Le Roux1987:

---

[1] Arnal J., Petit lexique du mégalithisme. BSPF. , T. 53, N°9 , 1956. P. 518.

[2] Costa L.J., Op. Cit. P.15.

[3] Clottés J., 1977- Inventaire des mégalithes de la France, 5 : Lot, 1er supplément à Gallia préhistoire. P. 291

[4] Costa L.J., Ibid. P. 15.

فخاض في مسألة تعريفها أولا ويقول بأنّ هناك تعريفات ومصطلحات وصفية وأخرى وظيفية وعليه لابد من اختيار إحداهما وإلاّ وقعنا في فخ كما هو واقع في ما قبل التاريخ وميادين أخرى "فالمحك ليس بالضرورة أداة صنعت لأجل الحك، قد تكون وظيفتها شغلت مهام أخرى وبالإمكان مضاعفة هذا المثال مرّات عديدة[1].

-رأي جيو R. GIOT 1987: وبإيعاز من طرف باحثين للنصف الشمالي من أوربا، فيرى بأن هذا التعريف الوصفي وربطه بغرض للاستعمال في الدفن لا يتماشى وعدد من الدولمن المعثور عليها في أوربا وفي العالم والتي لم تكن بمثابة معالم جنائزية[2].

-رأي جوسوم R. Joussaume 1990:

يقول بأنّ مصطلح الدولمن مرتبط بفكرة الولوج، فالغرفة التي لا يمكن تحريك مغلاقها فلا يمكن إدراجها في خانة الدولمن[3].

-رأي كوستا L.J. Costa 2008:

يعتقد كلّ الباحثين في الوقت الحالي بأنّ كل الدولمانات كانت في فترة استعمالها مغطّاة ومحميّة بتلال أتلف جلّها بفعل التعرية الطبيعية من أمطار ورياح، وينمّطها حسب هيئتها العامّة حيث يقسّمها إلى:

✓الدولمن ذات الممر ويقول بأنها عديدة، عثر عليها في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) وعلى الواجهة الأطلسيّة وفي جنوب فرنسا. الولوج إلى الغرفة يتمّ عن طريق ممر طويل محدّد بواسطة حجارة كبيرة مغروسة عموديا تخترق التل الترابي الذي يغطّي الكل، وإن كانت هذه التركيبة مغطّاة ببلاطة، فيدرج هذا النمط في خانة الدولمن ذو الممر.

✓أمّا النوع الثاني فيسمّيه بالدولمن البسيط، ويقول بأنّ هذا المصطلح عادة ما يستعمل للإشارة إلى الدولمن بدون تل ترابي[4].

---

[1]Le Roux C.T., op cit P.18.

[2]- Giot R., Mégalithisme et société, Table ronde CNRS des Sables d'Olonne (vendée) 2-4 novembre 1987, sous la direction de Roger Joussaume. P.17.

[3] Costa L.J., Op. Cit. P. 15.

[4]Costa L.J. Ibid. P.16.

نكتفي بتسليط الضوء سوى على هذا النوع من المعالم الجنائزية والمتمثّل في الدولمن الأوروبية، دون الدخول في أبراز أهم خصائص ومميّزات المعالم الأخرى المنتشرة أساسا في أوروبّا وجزر البحر الأبيض المتوسّط كالنوراغي Nuraghes بسردينيا والتورّس Torres بكورسيكا والتلايوت Talayot والنافيتا Navetas بجزر مينوركا، والتي نجدها غائبة تماما في ربوع شمال إفريقيا. فإن كان هناك تأثير فعلي قادم من الشمال، فلماذا يقتصر على الدولمن دون سواه من المعالم والأضرحة الأخرى؟ هذا ما يستدعي إعادة النظر في كل المسائل المرتبطة بموضوع تطوّر العمارة الجنائزية.

1.4 مصطلح فجر التاريخ :

مصدر هذه التسمية فرنسي ويطلق بصفة عامة من طرف الباحثين الأوروبيين على فترة تاريخ البشرية المحصورة ما بين فترة ما قبل التاريخ التي تسبقها، والعصور التاريخية التي تليها، بظهور الكتابة التي تتخذ منها عنصرا أساسيا في دراستها. أمّا فجر لتاريخ التي تعدّ بمثابة فترة انتقالية بين العصرين سالفين الذكر فبالإمكان دراستها عن طريق النصوص القديمة للشعوب التي دخلت التاريخ مسبقا مثل الفينيقيين، والإغريق والرومان. وعن طريق علم الآثار، الأثنوغرافيا، والأنثربولوجيا. ففي أوروبا أخذت الأبحاث المتعلقة بهذه الحقبة أشواطا كبيرة من خلال كثرة التنقيبات وما يليها من دراسات وتحاليل، يرتبط مصطلح فجر التاريخ عندهم بالفترة الزمنية الموافقة لعصر المعادن التي تبدأ مع الألفية الثالثة الموافقة مع العصر البرونزي في مناطق أوروبا الغربية، الشمالية والوسطى أما المنطقة التي تطل على البحر الأبيض المتوسط فقد دخلت العصور التاريخية مبكرا مع نهاية العصر البرونزي لاحتكاكها بالحضارات الأخرى. أمّا بخصوص شمال إفريقيا، فلغياب الأدلّة الكافية والجوهرية عن عصر المعادن بها، تمّ إدراج الثقافة الميغاليثية وشبه الميغاليثية في مرحلة فجر التاريخ لتشابه هيئتها العامّة بتلك المنتشرة بأوروبا، حيث شغّلت سياسيا بهدف إظهار العجز التاريخي والحضاري لبلاد المغرب بأساليب خاطئة، في محاولة لترسيخ مدى التأثير الأوروبّي بأجناسه ومعتقداته وثقافته على الشمال الأفريقي. وأنّ تحديد هذه الحقبة زمنيا بهذه الربوع خضع لقواعد وأسس غير موضوعية، متناقضة والواقع البيئي والحضاري والأنثربولوجي والتاريخي لبلاد المغرب.

وحتى يتسنّى لنا فهم الأهداف المزعومة في نسب معالمنا الجنائزية قيد الدراسة إلى هذه الفترة المبهمة تأريخا ومصطلحا، نودّ تقديم بعض الآراء والقراءات لباحثين معروفين اختصّوا أو قدّموا انتاجا معتبرا ومميّزا حول هذه المرحلة الحضارية الخاصّة بمناطق أوروبا والتي تمّ اسقاطها عموما على ربوع شمال إفريقيا في اطاره المحصور بين الشريط الساحلي للمتوسّط والمشارف الشمالية للصحراء عدا موريس ريقاس وليو فروبينيوس اللذان توغّلا جنوبا، ونستهلّها بـ:

1- الموسوعة الكونية (العالمية) Encyclopedie universalis

يجمع فجر التاريخ بين معارف السكّان عديمي المعرفة بالكتابة والمعاصرين لأولى الحضارات التاريخية. فبالنسبة لأوروبا كانت تتعلّق أساسا بالألفيتين قبل المسيح الموافق لعصر المعادن (الفترة التي يغطّيها)، تلي عصر ما قبل التاريخ بالمعنى الدقيق للكلمة، الذي يضم كل من العصر الحجري القديم، والحديث، والعصر الحجري الوسيط (الميزوليتي) والعصر الحجري الحديث. وفجر التاريخ ليس مجرد فترة انتقالية ما بين ما قبل التاريخ والتاريخ فحسب، ولكن بمثابة مرحلة التطور الإنساني الذي شهد -على وجه الخصوص- اكتشاف وتطوير المعادن من نحاس وبرونز وحديد....بالإضافة إلى ظهور مختلف الجوانب المتعلقة بالاقتصاد (التجارة بالمعادن والأدوات المصنعة) والدّين (عبادة الشمس، حرق أجساد الموتى).[1]

ومازال مصطلح فجر التاريخ قيد الاستخدام منذ أواخر القرن التاسع عشر تحت تأثير علماء ما قبل التاريخ الفرنسيين أمثال.De Mortillet G. ففي ذلك الوقت، أدرج P. É. Littré في قاموسه للغة الفرنسية كلمة فجر التاريخي« PROTOHISTORIQUE » بمفهومه: "'الذي ينتمي إلى بداية التاريخ 'Qui appartient aux débuts de l'histoire‘ حيث سجّل بأنّه ظهر على أعمدة الجريدة الرسمية الفرنسية يوم 05 أفريل 1877 تحت عبارة: Les peuplades préhistoriques et protohistoriques[2]، وكان ذلك بثلاثة وثلاثين سنة قبل استعماله من طرف J.Déchelette الذي يعتقده البعض بأنه أول من استعمل مصطلح « La

[1]http://www.universalis.fr/encyclopedie/protohistoire/
[2]http://www.universalis.fr/Op. Cit.

«protohistoire فيتعيّن علينا توضيح هذه النقطة مع إنصاف مبتكري هذا المصطلح كون المسألة ليست حسب اعتقادنا بعفوية ويجب أخذها بحذر، ما اتّضح جليا من خلال ما أدلى به J. Déchelette الذي تطرّقنا إليه في موضوع الميغاليثية.

2- جوزيف ديشلات J. Déchelette :

اعتبره كامبس جزافا بمثابة أوّل من عرّف بفجر التاريخ، ونجد عنده رؤية عامة عن هذه المرحلة التي بقيت سائدة منذ سنة 1910 ويرى بأن " بعد هذه الخطوة الأولى (فترة ما قبل التاريخ)... نجد أنفسنا بوجود حضارة جديدة تكمن في عصر البرونز، وهي حقبة بدأت تظهر في بلاد الغول وفي سائر أوربا الشرقية في الألفية الثانية قبل الميلاد.

3- جان بيار ميلوت J.P. Millotte :

حدّد سنة 1970 فترة فجر التاريخ في مجالها الأوربي بمثابة مجموع عصر المعادن (عصر النحاس، والبرونز والحديد)

4- غابريال كامبس G. Camps 1961:

تعدّدت وتناقضت الآراء بخصوص فترة فجر التاريخ في شمال إفريقيا لدى كامبس، الذي يرى:

- بأنّها لا تنتمي إلى فترات ما قبل التاريخ، ولا للفترات التاريخية. بل هي فترة ترجع أو تعرف بالاختلاف في الاتجّاه الحضاري من العصر الحجري الحديث، المنحصر خصوصا في المناطق الصحراوية، والمندثر بسبب العوامل المناخية، كبروز الجفاف التام في الصحراء، إلى قدوم التجار والبحارة الفينيقيين على سواحل شمال إفريقيا ومعهم تم إدخال تقنية استعمال الخشب لغرض صناعة السفن، وكل ما ينجرّ عنها من تطوير الملاحة واستعمال مادة الزفت لدهن السفن[1].

- ثم أرّخها بفترة عصر المعادن التي يرى بأنّها متزامنة مع العهد البوني المشكّل للعالم القديم للبربر[2]. وحين إبرازه لخصوصيات فترة فجر التاريخ الشمال إفريقي بكونه أيضا نوعا من أنواع

[1]- Camps G., Aux origines de la Berbèrie, Monuments et rites funéraires protohistoriques de l'Afrique du nord. p.29.
[2]- Camps G., Ibid, p. 342.

الآثار الريفيّة، التي يحدّدها زمنيا حيث يقول بأنها تسبق أو تتزامن أو تلي حضارة تاريخية ما[1].
وبهذا يكون قد تناقض مع نفسه بخصوص مسألة التأريخ بحكم العهد البوني الذي تزامن مع الفترات التاريخية المحضة التي لم تعرف الكتابة فحسب بل شهدت تطورا وتمييزا عن الكتابة الفينيقية. ويعدّ هذا بمثابة اعتراف غير معلن من طرف كامبس مفاده أن فترة فجر التاريخ بمفهومه ما هي إلاّ فترة تاريخية.

- وهناك بعض التساؤلات انبثقت من ملتقى أقامه المعهد الوطني للآثار والفنون (المعهد الوطني للتراث حاليا) بتونس في شهر أكتوبر من سنة 1986 أين قدم G. Camps مداخلة تحت عنوان : فجر التاريخ في شمال إفريقيا – مسألة مصطلح-[2]. تناول فيها هذا الموضوع بكيفية ورؤية منطقية وأثرية مبنية على أسس وقواعد علميةتراجع على إثرها في نسب المعالم الميغاليثية إلى فترة فجر التاريخ عدا تلك المتواجدة في المناطق الصحراوية حيث أرخت معالم سيلات الشبه قلاعية (شوشات) بـ1530± 100 بعد الميلاد، ومعالم تيت بـ 1300±100 بعد الميلاد و 1270± 100 بعد الميلاد. حيث قال: "المهام التي أنا بصددها مخيفة ومن الآن فصاعدا، أعلم بأنني أؤسف القارئ". وعلى الرغم من الخروج المفاجئ وغير المتوقّع من طرف كامبس والمعاكس تماما لما كان يصبو إليه من خلال نظريّاته وأفكاره وآرائه التي ما لبث محافظا ومتشبثا بها منذ الخمسينيات من القرن الماضي، صار يطبّق -لحفظ ماء الوجه- مصطلح فجر التاريخ على المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية من الزاوية المعمارية.
رغم هذا، إلاّ أن جل إن لم نقول كل باحثينا حتى الوقت الحالي مازالوا ينسبون هذا النوع من المعالم الجنائزية لمنطقة شمال الصحراء إلى غاية البحر الأبيض المتوسط، إلى فترة فجر التاريخ بمصطلحاته وتأريخه الأوروبي.

- فرانك بوردي Franck Bourdier:

أعطى بوردي سنة 1950 تعريفين لفجر التاريخ، مستهلا الأوّل بتحديد مجاله التأريخي الممتد من اكتشاف التعدين إلى غاية ظهور الكتابة. ويرى بأن تقدّم المعارف بخصوص أثار المشرق،

[1] - Camps G., Aux origines de la Berbèrie. Massinissa ou les débuts de l'histoire. Libyca, A.E., T. VIII, p. 8.
[1] - Camps G., protohistoire de l'Afrique. Questions de terminologie. p.2.

حتّمت علينا تقليص الفارق الزمني الفاصل بين هاذين الاكتشافين، ولهذا لم يعد فجر التاريخ يظهر وكأنه فترة زمنية بل بمثابة نمط حضاري، يرجع جلّه إلى الفترة التاريخية، بمعنى لاحق لظهور الكتابة، لكن دون استعمالها، ففجر التاريخ ما هو في الأساس سوى "شبه تاريخي" Une para-histoire. وعلى عكس هذا، فإنّ فترات ما قبل التاريخ ذات الفن التصويري المنذر بالرموز، تجعله ينتقل من ما قبل التاريخ إلى التاريخ ويستحق أن يسمّى بفجر التاريخ[1].

أمّا في مقاله الثاني، يرى بأنّه من المنطقي منح مصطلح فجر التاريخ للحقبة التي تتوسّط كل من ما قبل التاريخ والتاريخ، ولهذا يقترح بدأ فجر التاريخ بمجرّد ظهور الفن التصويري للعصر الحجري القديم الأعلى. هذا الفن الذي يعدّ من أسلاف الرموز ومن ذلك الكتابة. ويصبح التاريخ بمثابة عصر الكتابة وفجر التاريخ عصر التصوير المنذر لهاته الكتابة. ليضيف بأنّ كل من فترات ما قبل التاريخ، فجر التاريخ والتاريخ ما هي إلاّ مراحل كبرى متعاقبة على الإنسانية جمعاء تبدأ كل واحدة في نفس الوقت لكل شعوب العالم. مهما كانت درجة حضارتهم كمثل التاريخ الميلادي الذي يبدأ في وقت واحد لجميع الناس بغضّ النظر عن دياناتهم[2].

- أمّا وجهة نظرنا المتواضعة بخصوص هذا الموضوع، فنرى بدل من انتساب هذه المعالم إلى فترة فجر التاريخ المبهمة التحديد الكرونولوجي في شمال إفريقيا ومحاولة ربط بدايتها بنهاية العصر الحجري الحديث نفضّل قراءتها ودراستها بطريقة عكسيّة بمعنى منذ نهاية استعمال المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية التي بقيت سائدة لدى السكّان المحلّيين إلى غاية الفترة القديمة Antiquité اعتمادا في ذلك على الأثاث الجنائزي المعثور عليه بداخل هذا النوع من المقابر كالقطع النقدية النوميدية والرومانية ومختلف الفخاريات القديمة كالمصابيح الزيتية والأواني المصنوعة بالدولاب والأنفورات والقطع الفخارية المكتوبة بأحرف بونية ونوميدية. بالإضافة إلى وجود شواهد القبور المصوّرة والمكتوبة بأحرف ليبية على عدد من التلال الجنائزية وحتى المصاطب، وطرق وثقنيات البناء التي استخلصنا منها بأنّها كانت سائدة خلال الحقب التاريخية والتي استعملت فيها معدّات وتقنيات كان الإنسان مسيطر عليها

[1] Bourdier F., Sur la définition de la protohistoire B.S.P.F. 1950, tome 47, N. 5. P.211

[2] Bourdier F., Préhistoire et protohistoire. Bulletin de la Société préhistorique française. 1950, tome 47, N. 11-12. p. 551.

بكيفية جد راقية ومتطوّرة بوسائل حديثة التأريخ وبعيدة كل البعد عن نظيرتها المستعملة والمنتهجة على مقابر الدولمن الأوربية.

أمّا بالنسبة لبداية استعمال وبناء المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية وتحديدها الكرونولوجي في شمال إفريقيا، يبقى صعب التحديد في الوقت الراهن، وهذا راجع إلى النقص الكبير في الأبحاث العلمية والدراسات الموضوعية والتحاليل المخبرية، ممّا أدّى إلى نقص في الوثائق والمؤلّفات المتعلّقة بهذا الموضوع. إلاّ أن البعض القليل من نتائج الدراسات الأخيرة حول معالم هذه الفترة بشمال الجزائر وتونس، بدأت تؤرّخ عيّنات من محتوياتها العضوية بالكاربون 14 والتي أعطت تأريخات، لا يفوق جلها القرن الرابع قبل الميلاد.

إن مسألة النزوح البشري من الصحراء الكبرى إلى غاية المناطق الداخلية والساحلية لشمال إفريقيا، أمر غير مستبعد بل وارد جدا، فالتدهور المناخي البارز مع نهاية العصر الحجري الحديث في المناطق الصحراوية، أدّى بتقلّص الاستيطان البشري في هذه المنطقة الشاسعة، حيث انحصر الوجود السكاني مع نهاية العصر النيوليتي إلى بعض الواحات وعلى ضفاف أو بقرب بعض الأودية الحيوية، الممونة عن طريق المخزون الوافر للمياه الجوفية. وبناءا على المخلفات الأثرية، فإنّ آخر الرسومات الجدارية الممثلة للبقر انتهت في حوالي الألف الأولى ق.م.، علما بأن هذا النوع من الحيوانات، يتلائم مع وسط طبيعي شبه رطب أو معتدل على الأقل. ومع انقراض هذا الصنف الحيواني على الرسومات الجدارية، واستبدالها بتشكيل رسومات الجمال في نهاية الألف الأولى ق.م، يدلّ على قساوة البيئة وتغيّر المناخ إلى حقبة جافة وحارة. فهذا ما أدى حتما بحكم غريزة التشبث بالحياة إلى نزوح سكان المناطق الصحراوية إلى بقع أكثر استقطاب تحتوي على مؤهلات مناخية وطبيعية تسمح لهم بمواصلة الحياة. فهذا الوازع المناخي كان له الدور الأساسي في هجرة العديد من سكان المناطق الصحراوية إلى مناطق جنوب وشمال الصحراء الكبرى.

وما يهمّنا في هذا الموضوع، سوى السكّان الذين قدموا إلى المناطق الشمالية مصطحبين معهم الكتابة الليبية وكذا نمط معماري شبه ميغاليثي آلا وهو التلال الجنائزية التي كانت تتماشى وتوفّر المادة الأولية الخاصة بالبناء بفعل تفتت الصخور وانكسارها في شكل كتل صغيرة

ومتوسطة الحجم وذلك بفضل العوامل الطبيعية من حيث النوعية الأصلية للتركيبة الجيولوجية للمناطق الصحراوية المتميّزة بالكثبان الرملية تارة والحمادة التي تتخللها العديد من المرتفعات والجبال القديمة التكوين التي تطغى عليها التركيبة الرسوبية،البركانية والمتحولة هذا من جهة، ومن جهة أخرى المناخ المتباين والمختلف تماما عن المناطق الشمالية والمعروف جنوبا بقساوة حرارته لأشهر طويلة في السنة الواحدة وبرودته المتّسمة بالقرّ الشديد في فصل الشتاء وما ينجرّ عنه من تمدّد وانكماش التركيبة المعدنية للكتل الصخرية البارزة فوق سطح الأرض التي غالبا ما نجدها تتفتّت في شكل قطع وكتل متوسطة وصغيرة الحجم، والمنتشرة في المناطق الصحراوية بكثرة، وبأعداد جدّ معتبرة. ومن المألوف والمعتاد بأنّ،الجنس البشري ذو البشرة السوداء هم مؤهلون للعيش في المناطق الجافّة والحارّة وهذا بحكم مبدأ التأقلم مع الوسط الطبيعي. رغم أننا نجدهم منتشرين في المناطق الشمالية على شكل عشائر وقبائل، هذا ما أكده لنا ديودور الصقلي Diodore de Sicile عند وصفه لقدوم أغاثوكل Agathocle حاكم سراقوسة خلال القرن الرابع ق.م وبوجه التحديد سنتي 310-309 ق.م إلى شمال إفريقيا حينها احتار الإغريق المصاحبون له، في لون البشرة السوداء للسكان. [1]

وربما ما زال أحفاد هذا الجنس البشري ذو البشرة السوداء والمعروفين قديما باسم الأسفوديل Asphodélos يعيشون حسب قزال Gsell في مناطق الشمال التونسي أو شمال شرق الجزائر. هذا من حيث النصوص القديمة. أما الدليل المادي الذي يبيّن وجود العنصر الأسود في أماكن تقارب سواحل البحر المتوسط، تكمن في نتائج التنقيبات التي قام بها بورقينيا Bourguignat [2] سنة 1867 على بعض مصاطب الركنية، أين عثر على مجموعة من الهياكل العظمية، تكفّل بدراستها الطبيب برونر باي[3] Dr. Pruner-bey الذي تعرف على إحدى الجماجم ذات الخصائص الزنجية.

بعد فترة العصر الحجري الحديث بخصوصيّاته الحضارية في مواصلة استعمال الأدوات الحجرية المشذّبة والمصقولة بالإضافة إلى الفخاريات المقولبة، قام الإنسان القديم بثورة

1- Camps G.,1961. Op. Cit. p.33.

2-Bourguignat j.R., Histoire des monuments mégalithiques de Roknia prés d'Hammam Meskhoutine.1868. p.68.

3- Pruner-bey Dr., Crânes des dolmens de Roknia. Matériaux, T.V, 1869.p.202.

حضارية ثانية أظهر فيها وجه ثقافي جديد عرّف لدى المختصّين بفترة فجر التاريخ، يتمثّل أساسا في ابتكار التعدين واستعمال عنصر المعدن بأنواعه في صناعة مختلف الأدوات الخاصّة بالحياة اليومية من أواني وأسلحة وحلي، عوّضت بالتدريج تلك المصنوعة من مختلف المواد الحجرية والعضوية.

وسنكتفي في هذا العنصر ذكر خصائص ومميّزات هذا الوجه الثقافي المتزامن حسب إعتقادنا في العديد من الحالات مع فترة بناء المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية بشمال إفريقيا الذي أستعمل في بناء معالمها أدوات معدنيّة حديديّة، قد تنسب في ظلّ انعدام الأبحاث في مسائل العصر المعدني إلى ما يعرف بالعصر الحديدي Age du fer الموافق للحضور الفينيقي وهذا بالمناطق الشمالية لشمال إفريقيا.

هذا العصر، تمّ حلّ معضلته في الدول الأوروبية وحتّى الشرقية بصورة جد متقدّمة، حيث قسّم إلي حقبتين ثقافيتين متباينتين أين عرف مصدر الابتكار ومواطن الانتشار، حيث توضّح CH. Eluère بأنّ عنصر الحديد بدأ في الاستعمال منذ الألفية الثانية ق.م في بلاد الأناضول، الشرق الأوسط والأدنى، حيث أدرج ضمن الاستعمالات الشائعة لدى الحيتيّين، لكن عرف هذا المعدن بأوروبّا الغربية والوسطى في بادئ الأمر كمادّة زخرفية فاخرة خلال العصر البرونزي النهائي ثمّ تطوّر استخدامه وميّز حقبة العصر الحديدي الذي يسبق الدخول المباشر إلى التاريخ لمختلف شعوب أوروبّا. هذا العصر الحديدي الأوروبي اتّضح وتبيّن لدى الأثريين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وبوجه التحديد في سنة 1824 أين تمّ العثور على مقبرة واسعة بالنمسا تعرف بـ هالستات Hallstat ذات 1300 قبر، ومؤرّخة ما بين القرن الثامن والخامس ق.م، ونسب لها مصطلح العصر الحديدي الأوّل. ثمّ خلال سنة 1853 بالقرب من بحيرة نوشاتيل Neuchatel، عثر على مجموعة من الأسلحة والحلي في موقع يسمّى بـ تان Tène ويؤرّخ من القرن الخامس إلى الأوّل ق..م وأطلق عليه مصطلح العصر الحديدي الثّاني الذي يبدأ ما بين 500 و450 ق.م وهي فترة متزامنة مع التاريخ المكتوب عند الأغريق[1].

[1] Eluère Ch. Et Mohen J.P., L’age du fer, 3eme partie du livre « La protohistoire » P. 325.

رغم عدم معرفة مجتمعات وقبائل الشريط الشمالي لإفريقيا الشمالية للأبجدية مبكّرا، وبحكم اتّصالاتها وتعاملاتها بكيفية أو بأخرى مع الشعوب التي عرفت الكتابة، أن تدرج في المجتمعات التاريخية وتدخل بدورها في هذه الحقبة، على نفس المنوال المنتهج حاليا، فالتاريخ الميلادي المطبّق حاليا في العالم ليس من حيث التأريخ فحسب بل كمقياس في التعاملات التجارية والاقتصادية والسياسية السارية على كل دول المعمورة بما فيها المسلمين، المسيحيين والهندوس...

فقبول الفكرة المتداولة بأنّ مصطلح فجر التاريخ يمنح للشعوب التي لا تعرف الكتابة والتي ورد ذكرها من خلال الروايات والنصوص للمجتمعات صاحبة الكتابة نجده أمرا غير مقبول بما يتضمّنه من خلفيّات احتقارية واقصائية بقيت تخدم مسألة العجز التاريخي والتخلّف التي طالما ما نعتنا بها، وهذا ما يستدعي في الوقت الرّاهن التساؤل حول مسألة التأريخ الموافق للفترة المتزامنة لجيل آبائنا وأجدادنا الذين كانوا معزولين بعيدا عن المراكز الحضرية الأوروبية خلال الأربعينيّات والثلاثينيات من القرن الماضي بل بسنوات بعد حلول الإستعمار الفرنسي في المشاتي والمداشر والجبال والشعاب والصحاري، فكانوا لا يعرفون الكتابة بسبب الجهل الذي فرض عليهم وموازاة لذلك كانت تسجل وتوثّق أمورهم ونشاطاتهم بأدق التفاصيل لدى إدارة المستعمر، فأين ندرج المخلّفات الماديّة لحياتهم اليومية المهجورة حاليا من بقايا مساكن عضوية أو صلبة وحويطات الماشية وشقف فخّارية مقولبة. فهل هذا يعني بأنّ آبائنا وأجدادنا المباشرون عاشوا في فترة فجر التاريخ أم خلال الفترة التاريخيّة.

تدرج المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية لشمال إفريقيا عامة إلى فترة فجر التاريخ التي قمنا بإبراز أهم تعريفاتها وخصائصها بكل من أوروبّا وشمال إفريقيا منذ بدأ أولى الدراسات والأبحاث على هذا النوع من المعالم خلال مطلع القرن التاسع عشر. وقد أكّده ودعّمه ج. كامبس في مختلف منشوراته ومؤلفاته طوال مشواره العلمي والمهني أين أصبح رائدا وقدوة يمتثل بها ومرجعية بدون منازع في هذا المجال، حيث تركت أثار نظرياته بصماتها على مختلف أجيال الباحثين إلى أن جاء يوم القطيعة التي صرح بها علانية خلال مداخلته الملقاة في الملتقى المنظم من طرف المعهد الوطني للآثار والفنون بتونس سنة 1986 وكأنّه يدلي بتوبة عن

أخطاء جوهرية ارتكبها في حق التاريخ كونها بقيت سائدة لسنوات امتدّت من الخمسينيات إلى غاية نهاية الثمانينات، حيث تراجع عن نسب المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية في شمال إفريقيا إلى فترة فجر التاريخ وما ينجرّ عنها من إسقاط مسألة التأثيرات الخارجية وبالتالي بطلت روح رسالته الأكاديمية القائمة على مسألة أصول البربر.

ففي ظل النقص الكبير في إجراء تأريخات مطلقة على مختلف المواد العضوية كالعظام البشرية المدفونة في هذه المقابر بواسطة الكاربون C14 التي تتطلّب إعادة إجراء تنقيبات جديدية حديثة المنهج وتأريخ الأواني الفخارية بالإشعاع الضوئي، فقد اكتفينا بإعادة دراسة كل ما أكتشف خلال القرنين السالفين من أثاث جنائزي وشواهد ماديّة بمنهج تحليلي، بالإضافة إلى محاولة تأريخ المعالم الجنائزية في حد ذاتها من خلال تقنيات قلع وتشذيب حجارتها وعن طريق الصلة المباشرة لعدد منها بأضرحة ملوك وأمراء القبائل النوميدية المؤرّخة ببداية للعصور التاريخية.

لا يمكننا الإعتماد على الأواني الفخارية المقولبة التي مازالت تقنياتها وأشكالها متواصلة إلى يومنا هذا ماعدا تلك الحاملة لكتابات وأحرف ليبية وبونية على جوانبها وقواعدها والمعثور عليها في سراديب ومصاطب سيلا، وباقي الفخاريات المصنوعة بالدولاب المعثور عليها بداخل الغرف الجنائزية، تؤرخ بالفترات التاريخية أين نجد عدد هام أستخرج من مدافن الشرق الجزائري على كل المواقع المنقّب عنها والتي تراوحت من القرن الثالث قبل الميلاد إلى غاية القرن الثالث الميلادي.

إضافة إلى ذلك، القطع النقدية المختلفة والمتنوّعة المستخرجة من جلّ المقابر التي أقيمت عليها الحفريات المذكورة في كل من طبطابة بجبل سي الطاهر، رأس العين بومرزوق، سيقوس وسيلا، أين تم العثور على قطع نقدية قرطاجية لتانيت وأخرى نوميدية تتزامن وحكم الملك ماسينيسا أو مسيبسا ورومانية ترجع لكل من فوستين ودوميسيان وغاليان والمؤرّخة من القرن الرابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثالث الميلادي.

ناهيك عن وجود عدد من الشواهد الجنائزية المكتوبة بأحرف ليبية والمكتشفة وما زالت تكتشف في حرمة المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية بشمال إفريقيا والمؤرّخة على أبعد حد بالقرن الثّاني قبل الميلاد.

وحتى إن قبلنا بفكرة تعميم إعادة الدفن داخل المصاطب أو غيرها في فترات متأخّرة وهو يتنافى في الكثير من المحطّات وهندسة العمارة الجنائزية وصلتها بالأضرحة الملكية كما سوف نراه لاحقا وهو أمر يعمّق إيماننا بتاريخية هذه المعالم من كل الجوانب.هذا ما يعني كذلك بأن البربر أو مختلف القبائل والعشائر الماسيلية والنوميدية التي كانت تقطن في الشرق الجزائري كانوا متشبّثين بدفن موتاهم بداخل المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية ليس بمسألة إعادة استعمال المدافن فحسب بل ببنائها من جديد في أعزّ الفترات التاريخية.

كيف يعقل نسب عشرات الآلاف من القبور الميغاليثية وشبه الميغاليثية يحتوي بعضها في أعلى تقدير على عشرون فردا وتقدير عام متوسّطه جثّتين أو ثلاثة على أبسط إحصاء إلى حقبة تلي مباشرة العصر الحجري الحديث الضّعيف الوجود بالمنطقة، وكيف يعقل معرفة واستكشاف المدافن البونية والرومانية واقتصار المدافن النوميدية على أضرحة الملوك والأمراء، فلما لا نتسائل عن مصير جثث الرعية ومصير قبورها وخصائصها؟ فأين وكيف دفنت على سبيل الذكر مئات الآلاف من السكّان الماسيليين القاطنين في أحواز العاصمة سيرتا؟ وما هي دوافع إقامة الرومان لأنظمة دفاعية متمثّلة في العديد من المعسكرات المتموضعة في مناطق تحيط بالمعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية المنتشرة في مواطن وعرة؟ فبكل بساطة، لا نعتقد بأنهم جاءوا لمحاصرة ومراقبة سكّان العصر النحاسي والبرونزي وبعبارة أخرى سكّان فجر التاريخ.

فنظرا لاستقرار القبائل الماسيلية Massyles في ربوع منطقة قسنطينة التي تنتشر بها المعالم الجنائزية على المنحدرات والجبال المحيطة بها كما هو مبيّن في الفقرة الخاصة بالموقع الجغرافي والجيولوجي، فانّه لمن المنطقي والمعقول نسب كل هذه المعالم الجنائزية للقبائل الماسيلية والذي سوف نثبته ماديا من خلال تقنيات البناء وتوجيه المعالم وبواسطة دراستنا للمخلّفات واللقى الأثرية.

فالإنتشار الواسع للمدافن في مجموعات محدودة العدد أو داخل مقابر حقيقية، يتماشى فضائيا بالأقاليم والأحواز الجغرافية لمختلف التنظيمات الاجتماعية للقبائل البربرية القديمة كالجيتول، النتابوت في منطقة قالمة، الموزولام في منطقة تبسّة وجزء من سوق أهراس مثل مادوروس وضواحيها وتركيز الماسيل في منطقة قسنطينة وما جاورها، أين شهدت هذه الناحية عددا جد معتبر من أنواع المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية ذات الأنماط المتنوعة كالتلال الجنائزية، البازينات، القبور القلاعية، المصاطب والأضرحة.

فالإجابة عن هذه الأسئلة تكمن أولا، في إحصائيات القبائل الماسيلية،التي تهمنا في هذا الموضوع. فحسب المصادر التاريخية تتحدث عن تصدير كميات هائلة من المحاصيل الزراعية كالقمح والشعير في فترة حكم ماسينيسا الى كل من اليونان وروما، ناهيك عن ذكر مختلف الشحن والإمدادات لجيوش الإغريق سنة 171 ق.م. وجيوش مقدونيا سنة 170 ق.م. دون المساس بمخزون الحبوب المخصّص محليا. هذا ما يجعلنا نتذكّر بأنّ هذه الكميات كانت من إنتاج أناس كثيري العدد، ينتمون إلى عشائر وقبائل مختلفة متربّعة على أرجاء الشرق الجزائري، شاركوا في مختلف الحروب المعروفة قديما تحت إمارة ملك واحد، كان يقودهم كلما استدعت الضرورة ذلك.

1.5 تصنيف المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية:

حاول عدد من الباحثين إقامة تصنيف و تنميط على هذا النوع من العمارة الجنائزية قام به كل من:

تصنيف لوتورنو Letourneux 1868-1869

تصنيف الجنرال فيدارب و توبينار Faidherbe & Topinard_1873

تصنيفي قزال 1901 و 1929 Gsell

تصنيف بلاري Pallary 1909

تصنيف ريقاس Reygasse 1950

تصنيف كامبس Camps 1961

ليبقى هذا الأخير مرجع في التنميط لمثل هذه المعالم و التي قسّمها إلى ما يلي:

الأشكال المحلية البسيطة:

- مغارات مهيئة أو طبيعيّة

تلال جنائزية من الحجارة Tumulus: قسّمها إلى أربعة أنماط:

- تل جنائزي بسيطة بدون غرفة جنائزية و بدون حفرة.

- تل جنائزي ذو صندوق جنائزي.

- تل جنائزي ذو فوهة و ذو ظهر مبلط.

- تل جنائزي ذو الحفرة.

التلال الترابية Tertres: تشبه التلال في الشكل إلاّ أنها متكوّنة من تركيب ترابي وقسّمها كامبس:

- تلال ترابية كبيرة محاطة بسياج مشكّل من حجارة كبيرة الحجم.
- تلال ترابية ذات دوائر الحجرية المتراكزة.
- تلال ترابية ذات غطاء.
- تلال ترابية ذات نصب تحتوي على كتابات ليبية.

الدوائر و الفضاءات الجنائزية: وقسّمها إلى أربعة أنماط:

- دوائر جنائزية.
- دوائر متمركزة.
- دوائر غير مكتملة على شكل هلال و حذوة الفرس.
- مساحات مبلطة أو حجارة متناثرة على المعلم.

الأشكال البسيطة المستوردة:

الحوانيت: وقسّمها إلى ثلاثة أنماط:

- حوانيت بسيطة.
- حوانيت محفورة في صخر كبير و معزولة.
- حوانيت مزدوجة و ذات غرف متعددة.

المدافن ذات المطامر أو الحفر.

- مدفن ذو حفر أو مطامر.

الدولمن: وقسّمها إلى أربعة أنماط وهي:

- دولمن ذو ممر مكشوف.
- دولمن ذو قاعدة.
- دولمن ذو قالب.
- دولمن ذو غرف متعددة.

الممرّات المغطّاة Allées couvertes لم ينمّطها بسبب وجود عيّنات قليلة العدد في كل من بلاد القبائل ومنطقة قسنطينة.

2- الأشكال المتطوّرة:

البازينات: و قسّمها كامبس إلى خمسة أنماط وهي:

- بازينات ذات دوائر حجرية متداخلة.
- بازينات مقبّبة.
- بازينات ذات مدرّجات.
- بازينات ذات قاعدة أسطوانية.
- بازينات متعددة المدافن.

الشوشات : إستخرج منها نمط وحيد ويتمثّل في:

- شوشة على شكل برج صغير مبني بحجارة كبيرة و متوسطة الحجم.

الأشكال ذات تهيّئات طقوسية:

- معالم جنائزية ذات ممرّات و أذرع.
- معالم جنائزية ذات علامات خارجية ودوائر أو ممرّات.
- معالم جنائزية ذات مشكاة.
- معالم جنائزية ذات مقصورات.
- معالم جنائزية ذات كوات و موائد القرابين.

الأشكال المتطورة ذات تغيرات في البنية الداخلية

- دولمن ذو ممر مكشوف.
- معالم ميغاليثية معقّدة.
- معالم ذات أروقة.
- معالم على شكل بنى سكنية.
- أضرحة كبيرة ذات تقاليد بربرية.

1.5.1 التلال الجنائزية:

أدرجناه ضمن المعالم الجنائزية شبه الميغاليثية بما تحتويه مواد بنائه من عناصر حجريّة متوسّطة الحجم تتمثّل في تشكيل الحلقة أو التحديد الحجري وأخرى صغيرة يملأ بها الفضاء المحصور بين الغرفة الجنائزية والحلقة الحجرية.

وبخصوص نشأتها وأصولها فهي محلية وضاربة في عمق التاريخ منذ العصر الحجري الحديث بما أثبتته الأبحاث والتأريخات المطلقة على عدد منها، أين يرى باريس F. Paris وهو يتحدّث على النيجر، بأنّ هناك نمطين كبيرين من المدافن إحداها تحت الأرض ينعدم فيه أيّ شكل من أشكال البناء، والأخر يتوفّر على نوع من الهيئات، فالنوع الأوّل محلّي وأرّخ أقدمها إلى غاية اليوم بـ 5500 ق.م وتوجد أخرى لم نتمكّن من تأريخها ويمكن أن تعود لبداية الهولوسين بحوالي 7500 ق.م بتمايا ملاّت (بالأزواغ). أمّا النمط الثاني فهو أحدث، نعثر عليهم خلال نهاية العصر الحجري الحديث نحو 3750 ق.م في الشمال الشرقي للبلاد[1]. ويضيف باريس بأنّ التلال الجنائزية ذات الممر والحلقات، تعدّ إلى غاية اليوم من أقدم المعالم الجنائزية حيث تظهر ابتداء 4300 ق.م وأحيانا أخرى منذ 3200 ق,م ذات أصول من الشمال وبوجه الضبط من الطاسيلي ناجر بالجزائر، فلا نعرف جيدا إلى أيّ حضارة تنتمي والتي نعتقد بأنّها لرعاة من أصول متوسطية تظهر صورهم في الرسوم الجدارية المنتمية لمرحلة الرعاة بالطاسيلي[2].

---

[1] Paris F., La préhistoire de l'Afrique de l'ouest, nouvelles données sur la période récente. 1996. P.92.
[2] Paris F., Op. Cit., P.96.

تنتشر التلال الجنائزية بشكل واسع بمناطق عدّة من الشمال الإفريقي بمفهومه الواسع وهي موزّعة من شمال السودان مرورا بليبيا والصحراء الكبرى جنوبا إلى غاية سواحل البحر الأبيض المتوسّط شمالا والمحيط الأطلسي غربا.

لقد عثرنا على عدد معتبر من التلال الجنائزية في المدافن التي تناولناها، إحصائها المرئي يوحي بأنّها أقلّ عددا من المصاطب والبازينات في المقابر التي تحتوي على أكثر من نوع واحد، وتعد الفريدة من نوعها في العديد من المناطق الخارجة أو البعيدة عن التركيزات الجنائزية، كما عثرنا عليها فريدة من حيث نوعها في مقابر حقيقية في جميع المقابر ماعدا سيقوس، بونوّارة، بووشّن، راس العين بومرزوق التي مازال بها عيّنات تتوسط وتتخلل مجموعات من المعالم الجنائزية الميغاليثية، فهذا الانتشار والتوزيع المختلط مع المصاطب تارة والبازينات تارة أخرى، جعلتنا نتسائل في السابق إن كانت قد بنيت في نفس المرحلة رفقة الأنماط الأخرى، أم وجود التلال الجنائزية كان هو الأسبق[1]. لنؤكّد في الوقت الحالي بأنّ كل هذا التنوّع في الأنماط يخضع للوسط الطبيعي من تضاريس ونوعية السطح المؤثّرة بشكل مباشر على انتهاج بناء نوع معيّن دون غيره.

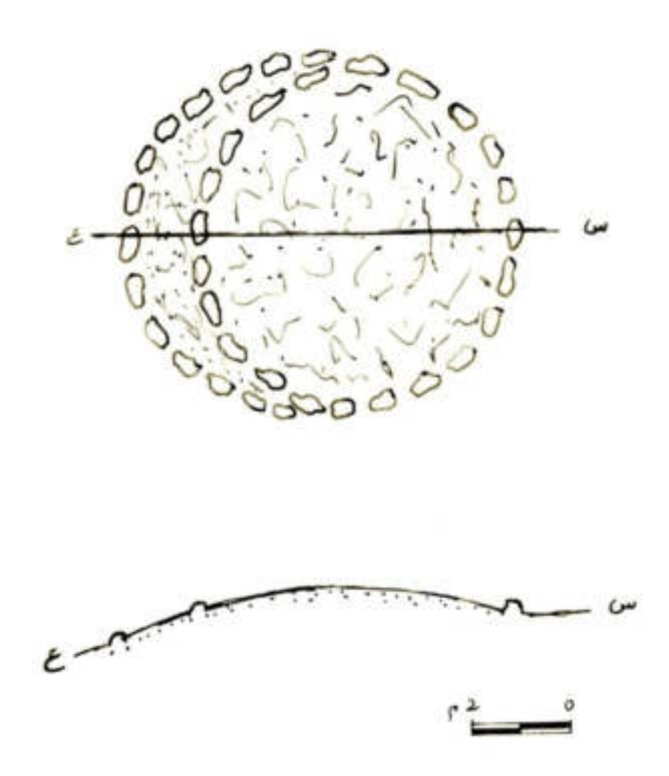
تتراوح أقطار التلال الجنائزية في سيقوس ما بين 5م و 12م، فهي محاطة بحلقة دائرية ذات الصخور المتوسطة الحجم، ترتفع قممها عن سطح الأرض بمتوسط يقدر بحوالي 0.60 م، لم نلاحظ بروز غرفها الجنائزية فوق سطح الأرض. إلاّ أن الدكتور روبو Reboud[2] عثر على تل جنائزي يقدّر قطره بـ 7.20م. وتعلو قمّته سطح الأرض بنحو 0.90 م.، تحيط به سلسلة حجرية تشكّل الحلقة الدائرية في قاعدته، وهيّئ فضاءه المخروطي بواسطة خليط من الحجارة والتربة، أمّا غرفته الجنائزية فهي مبنيّة بواسطة عدد كبير من الحجارة بشكل مستطيل منحني الأركان والزوايا.

وفي إحدى التلال الجنائزية لنفس المقبرة والمتموضعة على إحدى المنحدرات البسيطة في أعالي الموقع بوسط المقبرة، غرفتها الجنائزية غير ظاهرة على السطح، ويحتوي هذا القبر على

[1] مراد زرارقة، المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية لمنطقتي البرمة وجبل الفرطاس. ص.216

[2]-Reboud Dr., Note pour servir à l'étude de la nécropole mégalithique de Sigus. p.163.

حلقتين دائريتين لا مركزيتين، يقدّر قطر الحلقة الكبرى بـ 8.30 م.، أمّا الصغرى فهي تقدر بـ 6.80م



مخطط ومقطع لتل جنائزي ذو حلقتين دائريتين لا مركزيتين - سيقوس-

هذه الكيفيّة في التخطيط العام للبناء والمتمثّل في إقامة حلقة أو حلقات حجرية دائرية وسياجات مربّعة أو مستطيلة، فهي كثيرة وتطغى على تركيبة تخطيط المصاطب الواقعة ضمن مختلف الوضعيات الطبوغرافية. فالمبدأ الأساسي في تصميم التلال الجنائزية متواجد ومطبّق على البازينات والمصاطب. فالتأثير المحلي المحظ، لم يخلو من الوجود على سائر المعالم الجنائزية ومدافن الشرق الجزائري إلى غاية المناطق الوسطى والغربية لتونس عموما.

أمّا عن حفريات هذا النوع من المعالم الجنائزية شبه الميغاليثية، فلدينا نموذج واحد قام بالتنقيب عليه السيد Chabassière[1] في سيقوس فذكر بأنّ هذا التل الجنائزي الذي يقدر قطره بـ7 م، محاط بحلقة دائرية، يحوي فضاءه على كتلة من الصخور الصغيرة. الغرفة الجنائزية التي تقدر بـ 1.90م طولا و 1.05م عرضا، كانت مملوءة بخليط من الحجارة

[1]-Chabassière j., Ruines et dolmens du djebel Fortas. P. 114.

والشضايا والتربة، الموضوعة فوق أجزاء من البلاط غير المنتظم والمرمّم بواسطة رمل أصفر، من تحت هذا التبليط المقدر سمكه بـ10سم عثر على تربة سوداء تحمي في طيّاتها هيكل عظمي ممدود، أين نجد جمجمته موجّهة نحو الشرق ومصحوب بآنية صغيرة، منكسرة بفعل ضغط التربة، موضوعة بقرب فمه، كانت تحتوي على رماد وبعض العظام. بفضل هذا الوصف، نستنتج بأن هذا التل الجنائزي كان فردي ولم يعاد الدفن فيه رغم بروز غرفته الجنائزية على سطح الأرض، بما تمنح له سهولة لإعادة فتحه واستغلاله مرة أخرى، هذا ما يفسح لنا المجال بالقول بأن التلال الجنائزية ذات الحفر أو الغرف الجنائزية المندسّة، كانت تصلح للدفن مرة واحدة فقط.

– 1.5.2 مقابر التلال الجنائزية (بذراع بوتومي، تانبراست، الهزبري، سيلا ولوساليت)

تضمّ المقابر المذكورة أعلاه حصريا، سوى على تلال جنائزية. لم يتطرّق أو يلمح لها أي باحث من قبل، حتى قزال Gsell لم يذكرها في الأطلس الأثري للجزائر، على غرار موقع ذراع بوتومي وفم لحليق وذراع الهزبري بالإضافة إلى موقعين مذكورين في مختلف المنشورات والتقارير كموقع سيلا ولوساليت اللتين تحتويان أيضا على أنواع أخرى من المعالم الجنائزية.

فاطّلعنا على موقع ذراع بوتومي سنة 1989 حين قيامنا بمحاولة العثور على المعلم الذي ورد عند كامبس بما يعرف بالأروقة المغطاة Allées couvertes التي لم نعثر عليها آنداك، فاستقطبنا ذراع يعلو بقليل موقع تيركّابين ويبعد عنه بحوالي 290م، فأسرّينا على القيام بجولة فضولية له، بما يكتسيه موقعه الجغرافي والطبوغرافي لإحدى الخصائص الضرورية لإستقطاب العنصر البشري سواء لبناء منشآت سكنية محمية طبيعيا أو أخرى دفاعية يحتمي بداخلها أثناء الخطر، أو جنائزية مادام المكان يطلّ على سهول المنطقة قاطبة بما فيها منطقة عين الكرشة جنوبا. أثناءها عثرنا على مقبرة تحتوي على العشرات من التلال الجنائزية الواضحة، موزّعة فوق ذراع يبلغ طوله 1900 م، تكوينه الجيولوجي يوازي مختلف التضاريس الموجودة في المنطقة ومن بينها ربوة تيركّابين. هذا الذراع الذي له قمّة مسطّحة أحيانا ومقببة في غالبيتها، خصائصه تكمن في وجود منحدرين من الجوانب. يطل من الناحية الغربية على

شعبة تصب في واد الغرسة والتي تفصله عن موقع تيركّابين أمّا من الغرب فيطلّ على سهول عين الكرشة وبعض الهضبات المنتشرة هنا وهناك.

وبحكم مساحة ظهر الذراع الضيّق، فإن توزيع التلال الجنائزية وجدناها متسلسلة الواحدة تلو الأخرى في شكل متتابع تقريبا، تفصله بعض الفراغات التي لم تستغل.



تتابع التلال الجنائزية فوق ذراع بوتومي. عن Google earth.

أقطار هذه المعالم تتراوح ما بين 6 و13 م، لها أشكال دائرية ومربعة محددة عن طريق حلقات حجرية متوسطة وصغيرة الحجم على غالبية التلال الجنائزية ذات المقاسات الصغيرة والمتوسطة، أمّا الكبيرة فهي محاطة بكتل حجرية كبيرة نوعا ما أقتلعت كلّها من سطح الأرض المباشر ومن حافات الجلمود الجيري الطويل المطل على الجهة الجنوبية الغربية.

وضعية هذه القبور، تكاد تكون منبسطة مع سطح الأرض، حيث نجد ارتفاع أغلبيتها لا يفوق، 1.10 م وما تبقّى لهم شكل مخروطي مسطّح يتراوح ارتفاعهم ما بين 0.30 م. و0.60 م. فضاء التلال الداخلي مشكّل بطبقة من الحجارة الصغيرة الممزوجة على السطح بتربة ترسّبت طبيعيا بحكم العوامل الطبيعية من أمطار ورياح، وقد اتضح من خلال حفر غير قانوني لإحدى الفضاءات الداخلية لتل جنائزي من طرف مجهولين بأن القدامى لم يمزجو التربة في عمليّات ردم المدافن بل كانت هذه الأخيرة تغطّى بالحجارة فقط. وهذا ما يثبته في الوقت الحالي أيضا بروز الكتل الجيرية على سطح الأرض بكامل ذراع بوتومي.



تل جنائزي مربّع الشكل. ذراع بوتومي.(تصوير الأستاذ)

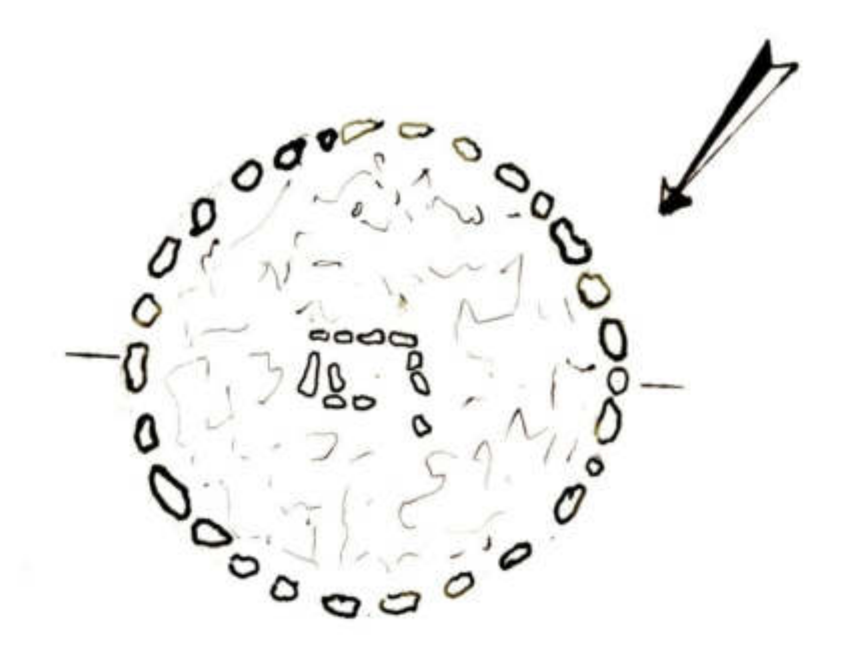


تل جنائزي دائري الشكل. ذراع بوتومي. (تصوير الأستاذ)



حفرة غير قانونية تبيّن ردم فضاء التل الجنائزي بالصخور فقط. (تصوير الأستاذ)

غرفها الجنائزية ليست مرئية من على سطح التل الجنائزي ماعدا معلمين طفت موائدهما فوق سطح الأرض جزئيا وحالتا دون فسح المجال أكثر لمعاينة تحديد وشكل غرفهما الجنائزية إلاّ معلم جنائزي واحد معدوم المائدة يقدر قطره بـ 8 م. ويحتوي على كل خصائص التلال الجنائزية في مظهره الخارجي، يعلو عن سطح الأرض بنحو 0،40 م، يحتوي على غرفة جنائزية تظهر حدودها المشكلة بواسطة حجارة متراصّة، لها شكل مستطيل تقدر أبعادها بـ 1،40 م. طولا و0،95 م. عرضا.





مخطط ومقطع لتل جنائزي ذو غرفة بارزة بذراع بوتومي.



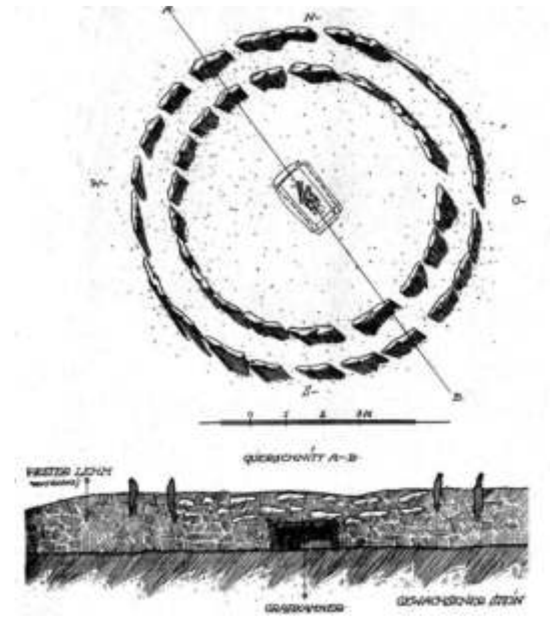
تل جنائزي ذو مائدة جنائزية بارزة بذراع بوتومي. (تصوير الأستاذ)

– 1.5.3 التلال الجنائزية ذات الحلقتين المركزيتين:

نادرة هي التلال الجنائزية ذات الحلقتين المركزيتين إذ عثرنا إلى يومنا هذا سوى على نموذجين إثنين، فالأوّل يقع في الجهة الوسطى من مقبرة ذراع بوتومي على سطح مائل نسبيا، قطره الإجمالي يقدّر بـ 7 م، الغرفة الجنائزية غير بارزة رغم تسطيح فضائه الداخلي المطابق في الارتفاع مع السطح الخارجي. نفس هذا النمط نجده في الصحراء وبوجه الخصوص في بشّار أين قام فروبينيوس وفريقه بالتنقيب على إحداها وهذا الاكتشاف يؤكّد مرّة أخرى أصالة هذا النوع من المعالم ذو الأصول المحلية رغم قصاوة المناخ التي تحجّج بها الكثير في عزل المناطق الجنوبية عن الشمالية.



تل جنائزي ذو حلقتين حجريّتين مركزيّتين –ذراع بوتومي-(تصوير الأستاذ)



مخطط ومقطع لتل جنائزي عثر عليه ما بين زناقا وبني ونّيف ببشّار.عن L. Frobenius[1]

---

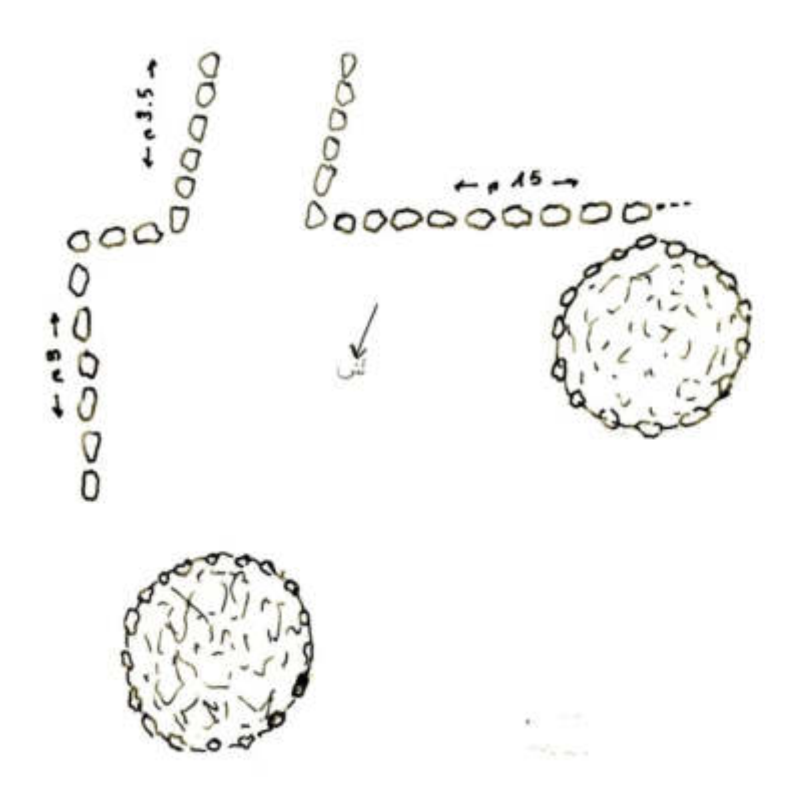
1 Frobenius L., Der Klein afrikanische Grabbau. Praehistorische Zeitschrift, Fig. 14, P.31.

أمّا النموذج الثّاني فهو مماثل لنموذج ذراع بوتومي ألاّ أنّه مخروطي الشكل وغرفته الجنائزية بارزة جزئيا فوق سطح الأرض، وقد عثرنا عليه ببونوّارة على الضفّة اليسرى لواد مهيريس في منطقة ذات تكوين جيولوجي مخالف لتكوين جبل مزيلا، ضمن مجموعة هامّة من التلال الجنائزية ذات المقاسات المختلفة والتي يصل قطر اثنين منها 16.90م و 20.60 م، لم يتمكّن كامبس وفابرار من ملاحظتهم رغم قربهم من المنطقة التي أجريا بها على حفريّات، والتي لم يتم ذكر في مذكّرتهما هذا النوع رغم وجوده بعيّنات هنا وهناك في جبل مزيلا نفسه بالقرب من القطاعات المنقب عنها.

ونفس المنهج مورس على التلال الجنائزية المتربّعة على ذراع الهزبري من حيث الشكل العام غير أنّ هذه المجموعة أتلفت العديد من أجزائها التي حوّلت في بناء مرافق عديدة بحكم المنطقة آهلة بالسكّان على عكس ما هو قائم بذراع بوتومي.

1.5.4 التلال المجمّعة والمرتبطة:

بعض التلال الجنائزية نجدها مجمّعة فيما بينها داخل خطوط حجرية وكأنّها كانت مسيّجة أو على الأقل محددة، ففي المنطقة الوسطى لهذا الذراع عثرنا على ما يشبه بممر طوله 3،50 م وعرضه 1،30 م موضّح عن طريق ترصيع حجارة متوسّطة الحجم في سطح الأرض، ينفتح بشكل غير عمودي على مساحة محدّدة بدورها بنفس الترصيع المتكامل في بدايتها والمتلف في أماكن أخرى، يحتوي بداخلها على تلّين جنائزيين مماثلين في الهندسة والمقادير، حيث نجد قطريهما يقدران بـ 8م.



مخطط تقريبي للتلال المجمعة – ذراع بوتومي-

كما ارتبطت عدّة تلال جنائزية فيما بينها بواسطة خطوط حجرية مزدوجة النظام تعلوا سطح الأرض بمتوسّط علو يقدّر ب 30 سم مبنية على الحواف بصخور متوسطة الحجم ويملأ ما بينهما بحجارة صغيرة وتربة من نفس الطبيعة لبيئتها المباشرة، اتّبعت هذه الطريقة في الرّبط بأماكن متعدّدة في ذراع بوتومي لاسيما منطقته الوسطى والجنوبية الغربية المتكافئتين في الإرتفاع مقارنة بالجهة الشمالية الشرقية التي تبدأ في الانحدار بشكل محسوس إلى غاية التماسها بسطح واد الغرسة التي يقطعها لتعيد في الإرتفاع ابتداء من الضفّة اليسرى للوادي حيث تنتشر تلال جنائزية مماثلة تبتعد عن بعضها البعض بمسافات كبيرة تصل في بعض الأحيان 400 م، ورغم هذا تبقى متّصلة ومرتبطة فيما بينها بنفس الجدران المزدوجة والمهيّئة داخل خنادق حيث حفرت على سطح الجلمود الجيري بعرض يقدّر متوسّطه بـ 1م لترصّع الجدران المزدوجة بداخله بكيفيّة جدّ محكمة وقدر عرض الخندق بمتوسّط 1م. هذه الطريقة في اتصال وربط التلال الجنائزية فيما بينها محليّة حيث نجدها متجذّرة ومستمدّة من التلال الجنائزية الأقدم تأريخا بمناطق الصحراء الكبرى في أقصى الجنوب الجزائري.

لم نجد تفسير وظيفي لهذه الخطوط الحجرية، كالّذي تلعبه الحلقات الحجرية المحيطة بمختلف أنواع الغرف الجنائزية في حمايتها من الإنفكاك والتعرية والإنهيار، ولهذا أدرجتها في المسائل الروحية والطقوسية التي سوف نعود إليها بنوع من التفسير العقائدي في الفصل الخاص بالطقوس الجنائزية.



تلّين جنائزيين مرتبطين فيما بينهما بجدار مزدوج النظام بذراع بوتومي. (تصوير الأستاذ)

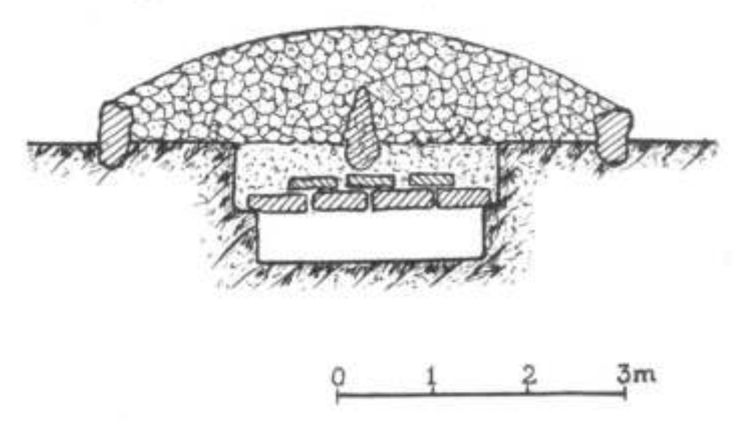


جدار حجري رابط بين تلّين جنائزيين. (تصوير الأستاذ)



جدار مزدوج من النظام البربري مبني داخل خندق. (تصوير الأستاذ)

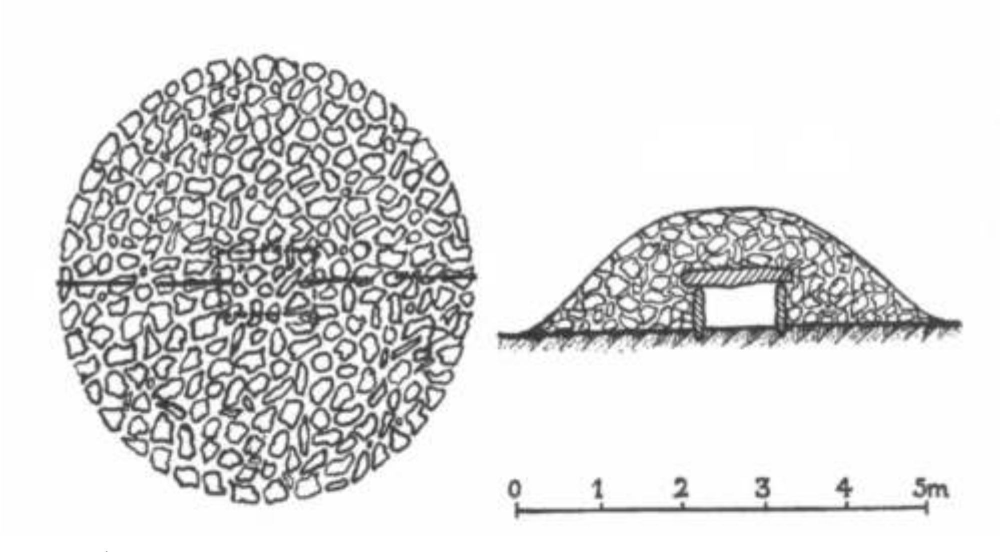
وبالنسبة للتلال الجنائزية التي لا يظهر من فوق سطحها حدود وشكل غرف الدفن، فإنّنا نعتقد بأنّ غرفها الجنائزية، تكون محفورة تحت سطح الأرض، على مثل أحد الأنماط التي تمّ العثور عليها في كل من بوغار. وحفرية توماس في جبل سي الطاهر.



مقطع لتل جنائزي ذو حفرة مدرّجة وجد في منطقة بوغار [1]

[1]-Gsell S., Les tumulus de la région de Boghar. B.A.C., 1900, P.374.

أو عن طريق بناء صناديق حجرية تكون مندسّة في الأرض وليس من فوق سطحها، وهذا بحكم قصر ارتفاع غالبية التلال الجنائزية.



مخطط لتل جنائزي ذو صندوق وجد في منطقة عين الصفراء[1].

1.6 البازينات:

صنّف هذا النمط من طرف ج. كامبس ضمن المعالم الجنائزية المحلية المتطوّرة، ويرى بأنها بأعداد كبيرة مثلها مثل التلال الجنائزية، وتغطّي كل بلاد المغرب. تعدادها وأشكالها وانتشارها داخل مقابر مختلطة مع التلال الجنائزية، جعلت العديد من المؤلّفين لا يفرّقون بينها وأطلقوا تسمية Tumulus على القبور المبنيّة بحجارة صمّاء تحتوي أو لا على نظام معماري بسيط نوعا ما[2].أمّا س. قزال فيقول بأن مختلف المعالم الجنائزية المبنيّة بحجارة صمّاء فتلقّب من طرف السكّان المحلّيين بـ بازينا، رجم وكركور[3].

إنّ اختيار هذا المصطلح للدلالة على تل جنائزي مشكّل من حجارة منتظمة فهو قديم، ذكره Letourneux سنة 1867 أين أعطى مفهوما واضحا للبازينات المحصورة في حيّز جغرافي ضيّق بالنسبة لشمال إفريقيا، حيث يقول بأنّها منتشرة على سفح الجبال المتمركزة حول منطقة الأوراس والحضنة. ويعرّفها بمثابة معالم ذات مدرّجات، يكون وسط الدرجة الأخيرة مليء

---

[1]Camps G., 1961, P.69.
[2]Camps G., 1961, Op. Cit.P.158.
[3]Gsell S., HAAN, T. VI, P.185.

بالحجارة وغالبا ما يكون مركزها مشكّل من ثلاثة صخور مغروسة عموديا، قطر هذه المعالم يتراوح ما بين 9 و10 أمتار[1]. ويبقى Pallary P. من ضمن الباحثين الّذين جعلوا فرقا بين التلال الجنائزية العادية والتلال المدرّجة حيث منح لهذه الأخيرة مصطلح الجاهل[2] على ما يعرف بالبازينا في المناطق الغربية للجزائر. هذه العبارة سواء أكانت مفردا أو بصغة الجمع (الجهالة)، فكثيرا ما تطلق على المدافن الميغاليثية وشبه الميغاليثية بالشرق الجزائري والقطر التونسي تحت تسمية قبور الجهالة. وفي العديد من مواقع الشرق الجزائري، لاحظنا استعمال السكّان المحليين لمصطلحات ينعتون بها مختلف أنواع المعالم الجنائزية سواء كانت مصاطب أو تلال جنائزية وبازينات باسم الغولايات (مفرده غولاية) وهي عبارة عربية مستمدّة من كلمة غول أو غولة Ogre – Ogresse.

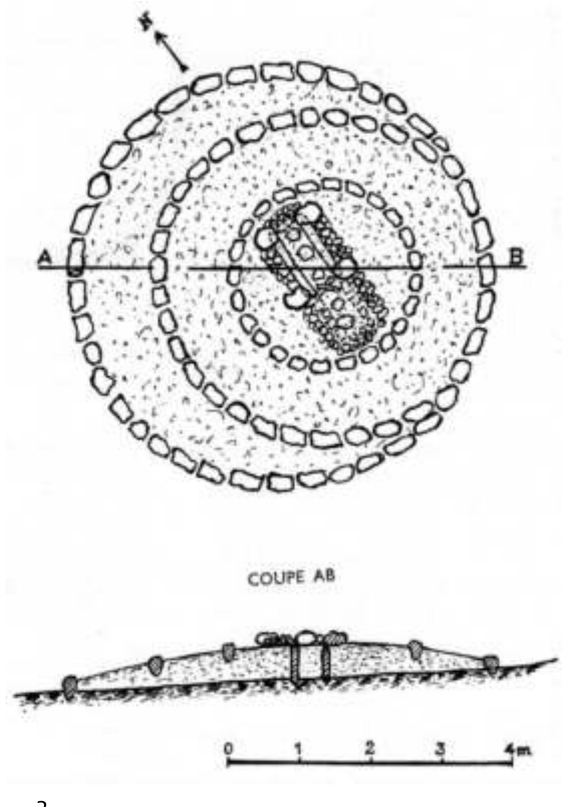
تطلق كلمة بازينا في إحدى الجهات بالشرق الجزائري على نوع من المدافن المشكّلة من كومة ترابية التي عادة ما تكون مختلطة بالصخور والحجارة ومازالت هذه التسمية مستعملة إلى يومنا هذا ما بين منطقة أم البواقي وخنشلة في الجهة الممتدّة ما بين مسكيانة والضلعة إلى غاية بلقيطان وأطلقت أوّل مرة سنة 1864 من طرف المترجم L. Feraud بناءا على تسميات السكان المحليين التي عادة ما يطلقونها على التلال الترابية المعزولة بهذه الناحية، والتي أثّرت حتى على تسميات الأماكن إذ نجد قرب إحدى التلال الترابية ما بين الضلعة ومسكيانة على تسمية قرية تدعى حاليا بمشتة البازينا.

وحتى يرفع هذا الإشكال المتعلّق بهذا المصطلح، اقترح كامبس على أنّ البازينا ما هي إلاّ تلال جنائزية لكنها مخالفة لذلك النوع البسيط المشكّل من مزيج من الحصى. فتخصّ كل نوع يحتوي على تهيئة خارجية حتى ولو كانت بسيطة. ويضيف ليتفادى التناقضات التي وقع فيها بأن هناك العديد من التلال الجنائزية المدرّجة، فهذه الأخيرة تعدّ بمثابة نمط خاص من

[1] Letourneux Sur les monuments funéraires de l’Algérie orientale, Archiv. Fur anthropolgie. T. II, 1867, P.312.

[2] Pallary P., Instructions pour les recherches Préhistoriques dans le nord ouest de l’Afrique. Alger, 1909.P.86.

مجموع البازينات[1]. إلاّ أنها في الواقع الذي صادفناه في بونوّارة تظهر بشكل تلال جنائزية ذات حلقات مركزية ولا مركزية.



يوضّح بازينا ببونوّارة في منظور كامبس[2].

وقد تفطّن Pallary منذ 1893 لهذا الإشكال في التسميّات وطلب بعدم الأخذ بمصطلحات السكّان المحليين ذات المتغيّرات الكبيرة والدقّة غير الكافية، واقترح تسمية البازينات بالتلال الجنائزية المدرّجة[3]، وهذا ما ينطبق فعلا على بازينة كامبس ببونوّارة.

فإذا كانت هندسة التدرّج هي التي منحت ابتكار مصطلح جديد عرّف بالبازينا، فما بال المعالم الدائرية والمربّعة ذات قاعدة أسطوانية أو مكعّبة بسيطة كانت أو مدرّجة أطلق عليها نفس هذا هذا المصطلح، ونفس هذا النمط أطلق عليه أيضا تسمية شوشة (جمعه شوشات)، شغّله الرائد Cdt. Payen خلال حفريّاته لسنة 1859 بجبل المحمل حينما عثر على قرابة 60 معلما ذات أشكال أسطوانية ومنهارة العناصر، في مكان يدعى بـ شوشة الرمل Calotte de

[1] Camps G., 1961, Op. Cit. P.159.
[2]Camps G. & Camps-fabrer H., Op. Cit. Fig. 35 P. 41.
[3]Pallary P., Note sur la classification et la terminologie du préhistorique Algérien. C.r. de la 22 eme session de l'AFAS. Besançon 1893, P.680.

sable، ويرى بأنّ تسميتها مطابقة لرؤية هذه المعالم عن بعد وكأنّها "شاشيّة" التي يضعها الأهالي فوق رؤوسهم[1]. ويتعيّن بأنّ كامبس أيضا انساق في تسمية بعض أنواع المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية المدروسة من قبل من سبقوه في الميدان بناءا على ما كان متداولا به من قبل السكّان المحلّيين. ومن هنا وبناءا على هذا التعريف للبازينا لكامبس، الذي ينجرّ عنه اختزال الأغلبة الساحقة من التلال الجنائزية المعروفة في شمال افريقيا باحتواءها على حلقة حجرية أو سياج مربّع وهما عنصران مدرجان ضمن التهيئات الخارجية البسيطة.



شوشة حسب كامبس بجبل الخرّوبة [2].

1.6.1 البازينا المتعددة الغرف :

هناك العديد من المعالم الجنائزية في كل من مقابر بووشّن، راس العين بومرزوق، جبل المراح وسيقوس، تعدّ بمثابة حلقة وصل بين النمط المعروف بالبازينا من حيث سياجها الداخلي وعمارة غرفها الجنائزية، وما بين المصاطب السابقة الذكر سواء أكانت ذات الحلقات الدائرية أو السياجات المربعة، لكن في مقبرة سيقوس، فقد عثر Chabassiere على إحدى هذه البازينات المشكلة عن طريق بناء حلقة حجرية بحوالي ثلاثة صفوف من الحجارة على الأقل،

[1] Payen Cdt., Lettre sur les tombeaux circulaire de la province de Constantine. RSAC., T.VIII, 1863, P.159-169.
[2] Camps G., Chouchet. E.B. Vol. 13, 1994. P.1936.

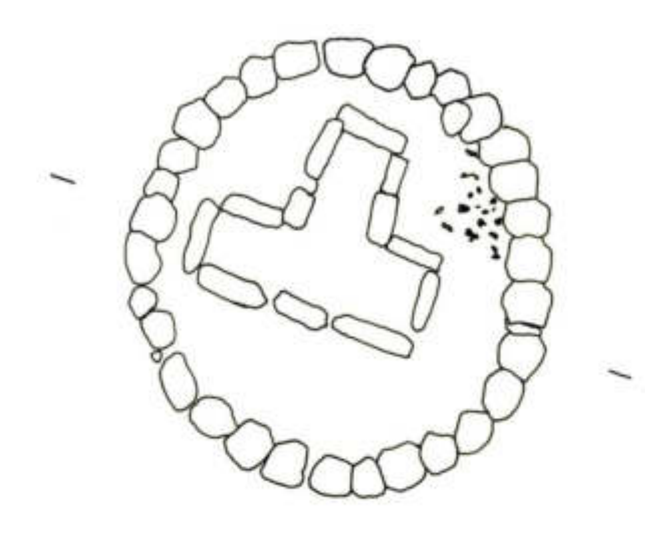
وهذا حسب ما يبيّنه المقطع المرسوم في تقريره[1]. يحتوي فضاءه الداخلي على غرفتين جنائزيتين مستطيلتي الشكل، فبنيت بطريقة تعتمد فيها الأولى مع الثانية بشكل قائم الزاوية و تشكل جوانبها حرف T.

أستغل كل فضاء هاتين الغرفتين الجنائزيتين المفتوحتين على بعضهما لعملية دفن جماعية، والتي تمثّلت في وضع خمسة جماجم بداخلها، فهذه الطريقة في بناء الغرف لا تولي أي اعتبار إلى اتجاهها الفلكي ما دامت بهذا التخطيط المتعدّد الأبعاد. ويتعدى حدود هذا النمط المنطقة المدروسة لنجده متواجدا أيضا في شمتو بالقطر التونسي.

نجد هذا النوع من البازينات في مقبرة زوارين[2] بتونس بإختلاف جدّ طفيف في تصميم الغرفة الجنائزية، والتي عثر بإحداها على قطعة نقدية بونيّة.

[1] Chabassiere j, Ruines et dolmens du djebel Fortas….PLXIII, N° 5.

[2]-Lapeyre G., Anciennes sépultures……p.29.

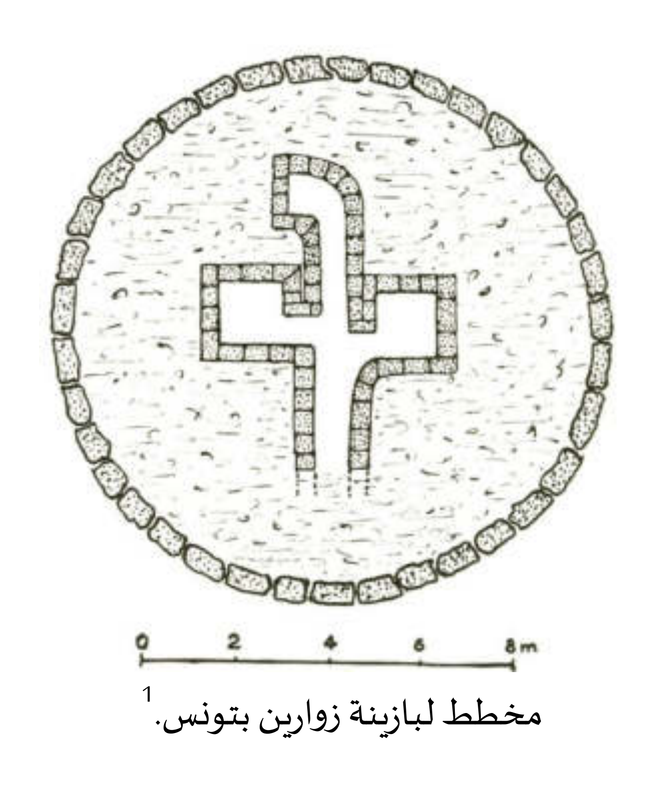




بازينا ذات غرفة على شكل حرف T -سيقوس-عن Chabassiere



بازينا ذات غرفتين أحداهما على شكل حرف T بشمتو.(تصوير الأستاذ)



مخطط لبازينة زوارين بتونس.[1]

[1]- Camps G., 1961 ; Op. Cit. fig.59. p.169.

– 1.6.2 البازينا ذات الجدران المدعّمة:

عثر السيد مارتان Martin.H على هذا المعلم الجنائزي في مقبرة جبل المراح، والذي صنّفه السيد كامبس في خانة المصاطب ذات الأسوار البربرية.[1] إلاّ أننا لا نجد أي شكل من أشكال المصاطب بداخل الحلقة الفريدة لهذا المعلم، المقدّر قطرها بـ10 م والمشكّلة عن طريق حجارة كبيرة الحجم.

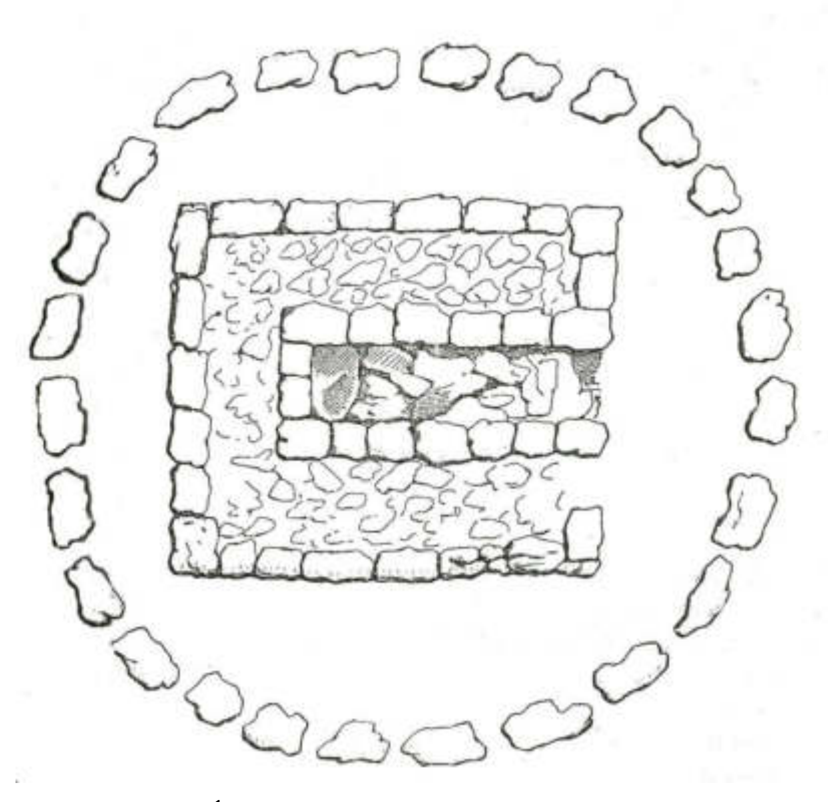
الغرفة الجنائزية لهذا المعلم والتي تشبه ممر مسدود في مخطط كامبس، كانت تقدر بـ 3،80 م طولا و1 م عرضا، كانت مغطاة حسب اعتقاد مارتن[2] بثلاث موائد محطّمة داخل الغرفة الجنائزية. فهي مبنيّة بواسطة جدران مدعّمة من ثلاثة واجهات بواسطة صفوف متوازية من الحجارة الكبيرة، ليملأ ما بداخلها بخليط من الحجارة ذات الحجم الصغير بتقنية بناء مطابقة من حيث الهيئة والتخطيط مع ما يعرف بالتقنية البربرية، أما الواجهة الرابعة لجدران هذه الغرفة فتبقى مفتوحة إلى الخارج، ربما كانت بمثابة مدخل لهذا القبر لإجراء عمليات إعادة الدفن بداخله، ولهذا الأمر نجد الشكل الإجمالي لهذه الغرفة الجنائزية يشبه حرف U. لا ندري قبلة اتجاه هذا المعلم نظرا لنقص وصفه وعدم وضع إشارات التوجيه من فوق رسومات مارتن و كامبس.

فضلت تصنيف هذا المعلم ضمن البازينات، وذلك لقرب التشابه الملحوظ بينه وبين بازينا مماثلة عثر عليها Pallary في مقبرة مشرع الصفا[3].

[1]-Camps G., op.cit.fig. 44. P.139.

[2]-Martin H., Excursion à la Nécropole du djbel el merah, B.A.H., P162.

[3]-Pallary p , Les monuments mégalithiques…T XXI ,1887, p458.



مخطط للبازينا المدعّمة الجدران.[1]

– 1.6.3 البازينات ذات الحلقتين الدائريتين الأسطوانيتين

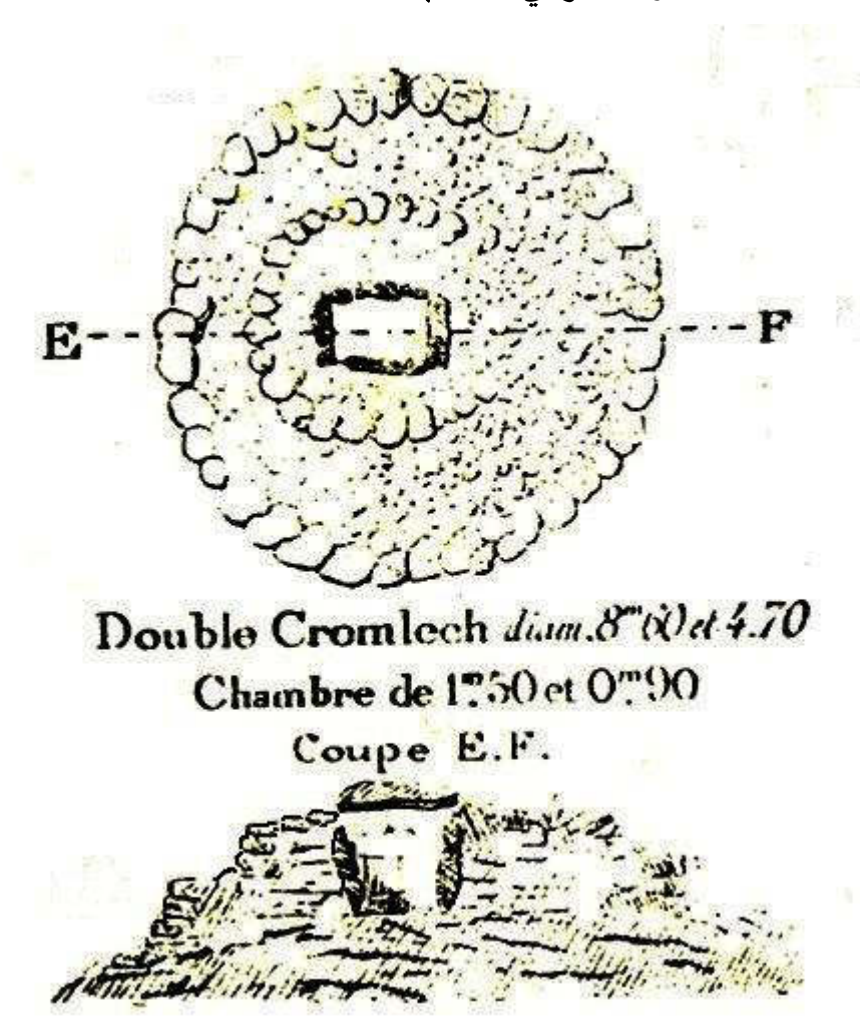
يكمن إنتشار هذا النمط في الوقت الحالي على الواجهات الشمالية الشرقية والجنوبية لجبل الفرطاس وبوجه التحديد على نماذج محدودة العدد في مقبرة سيقوس وبووشّن. لم يبق أي أثر لتلك التي قام شباسيير Chabassiere بإجراء حفرية من حولها وبداخلها في سيقوس دون أن يعيد بناءها بعد عملية التنقيب فأتلفت إلى الأبد لكنّه قام برسمها، ورتّبها ضمن الكروملاك Cromlech ذو الحلقتين الحجريتين.

كانت هذه البازينا متكوّنة من حلقتين حجريتين دائريتين أسطوانيتين ومركزيتين. قدّر قطر الدائرة الخارجية ب 8.50 م، وكانت متكوّنة من خمسة صفوف حجرية ذات الحجم الصخم، متراسة الواحدة فوق الأخرى، الأرضية التي تعلوا هذه الأسطوانة الخارجية، تعدّ بمثابة قاعدة تعتمد عليها الحلقة الأسطوانية الثانية وبشكل مدرّج حيث يقدر قطرها بـ 4.70 م. وتتكوّن

[1]- Martin H.,Excursion dans la nécropole…..fig.9. p.161.

بدورها على ثلاثة صفوف مرئيّة من الحجارة ذات الحجم الأصغر من صخور الحلقة الأولى. وتكوّن بدورها الأسطوانة الثانية، ذات الفضاء المتكون من صخور كبيرة الحجم.[1] الغرفة الجنائزية لها شكل مستطيل تقدر أبعادها ب1.50 م طولا على 0.90 م عرضا. وجدت مندسّة داخل الأسطوانة الداخلية، فما كان يظهر منها سوى السطح العلوي للمائدة.

أمّا في بووشّن فأبعادها تكاد تكون أكبر من نماذج سيقوس أين يفوق قطرها الخارجي 11م. تتوازي فيهم ارتفاع الحلقتين الأسطوانيتين من حيث الارتفاع إذا ما أعدنا تركيب صخور الحلقة الخارجية المتساقطة والمتناثرة في محيطها.



مخطط ومقطع لبازينا ذات حلقتين دائريتين أسطوانيتين (سيقوس)[2]

---

[1]-Chabassiere j, Ruines et dolmens du djebel Fortas….P. 117

[2]- Chabassiere j, Op. Cit., PL. LXIII, N° 2.



جانب من للحلقتين الأسطوانيتين لبازينة بووشّن. (تصوير الأستاذ)



تساوي في ارتفاع الحلقتين الأسطوانيتين لبازينة بووشّن. (تصوير الأستاذ)

1.7 المصاطب :

تعدّ المصاطب من المعالم الجنائزية الميغاليثية، ومصطلح ميغاليث هي تسمية لاتينية متكونة من Mèga ويعني كبير وLithique بمعنى حجر أو صخر، بما يترجم للعربية بعبارة الحجر الكبير، ويشمل هذا الصنف نمطين رئيسيين ألا وهما المصاطب والأنصاب الحجرية.

المصاطب هي معالم جنائزية صخرية التركيب، تعد بمثابة غرف تحوي الموتى، متكونة عموما من صخرتين أو عدة صخور عمادية Orthostates، توضع بطريقة عمودية على جهتي أو الأربع جهات المكوّنة للغرفة، ثم يغطى الكل ببلاطة أفقية التي تكون لنا سقف الغرفة، وتكون دوما محاطة بحلقات أو سياجات حجرية متنوّعة ومتعدّدة الأشكال والهيئات ومخالفة تماما من حيث البنية العامّة مع تلك المنتشرة في عدة مناطق كايرلندا، بريطانيا وأوربا الغربية عموما وفي بعض مناطق قارة آسيا.

أمّا بشمال إفريقيا، فهي واسعة الإنتشار في المناطق الشرقية للجزائر وبالقطر التونسي، ويكون إنتشارها نسبي في المناطق الغربية للجزائر والمغرب الأقصى وبعض المقابر المنعزلة في وسط الجزائر، ويصل تمركزها الأقصى الى غاية جبال الأطلس الصحراوي ولا يتعدى حدود هذه السلسلة بتاتا بالشكل والتخطيط العام التي تمتاز به.

فحسب بعض الباحثين، فانّ انتشارها تمّ من مختلف المناطق المجاورة، عن طريق التبادلات التجارية السائدة مع مختلف المجتمعات القديمة المقيمة حول البحر الأبيض المتوسط وما ينجر عنها من تأثيرات تمس بالمعتقدات وبمختلف الأنماط المعيشية.فيرون بأنّ هذا التأثير قد وصل شمال إفريقيا من أوربا الجنوبية عن طريق مضيق جبل طارق وجزيرة صقلية عبر سلسلة من الجزر الصغيرة التي كانت بمثابة حلقة وصل بين الضفتين كجزر مالطا، القاليت، لمبيدوزا وبونتلاريا، التي عرفت شبه هذا النوع من المعالم في فترات مبكرة، ونخصّ بالذكر فترة العصر الحجري الحديث أين عثر على أثاث جنائزي متكون من أدوات حجرية صوانية وعظام الموتى أرخت ابتداء من الألف الرابعة ق.م

علما بأنّ الإحتكاكات بين شعوب الضفتين في فترة العصر الحجري الحديث واردة فعليا، هذا ما بيّنته ماديا إحدى الإكتشافات الأثرية بتونس والتي ترجع لفترة العصر النيوليتي[1] والمتمثلة في أداة حجرية مصنوعة من مادة الأوبسيدين[2] مصدرها الرئيسي من ايطاليا.

فنرى بأن التأثيرات الثقافية والعقائدية لم تتوغل في سلوكات وأدهان سكان شمال إفريقيا بسهولة، وهذا بحكم وجود عدة أنماط وطقوس جنائزية محلية داخل المقابر. هذا ما يتركنا نستنتج بأن سكّان شمال إفريقيا متشبّتون بالمعتقدات المحلية الراسخة في أدهانهم وكيانهم والموروثة عن الأجداد التي طالما ما قدّست إلى درجة المعبودات، والذي نجده متداولا إلى يومنا هذا رغم تعاقب الديانات وحلول الدين الإسلامي الحنيف منذ أكثر من 14 قرنا. هذا التشبّت بمعتقدات الأسلاف يكمن في الإيمان القوي الشبه وثني الممارس خاصة عند سكان الأرياف إلى وقت ليس ببعيد والمتمثّل في تداول طقوس تقام قرب منابع المياه الساخنة والباردة أو التعبّد في المزائر المبنية بالحجارة الطبيعية أو التي يصنعونها على شكل حلقات دائرية أو على شكل أهلّة تتوسّطها مذابح تعرض عليها مختلف الأواني الفخارية كالقصاع الصغيرة وأشكال أخرى تشبه حاملات الشموع أو عظام السلاميات، وهذا لغرض إشعال الشموع وحرق البخور قصد تقديم النذور والأمنيات، أو على مزارات عضوية نابتة في الوسط الطبيعي مثل عدد من الأشجار كالزيتون، الخرّوب، البطّوم والدردار أين يعقد ويعلّق في أغصانها مختلف الأشرطة القماشية والمناديل المتعدّدة الأشكال والألوان. بالإضافة إلى التبرّك والتعبّد حول الأضرحة والمقامات والمدافن بأنواعها.

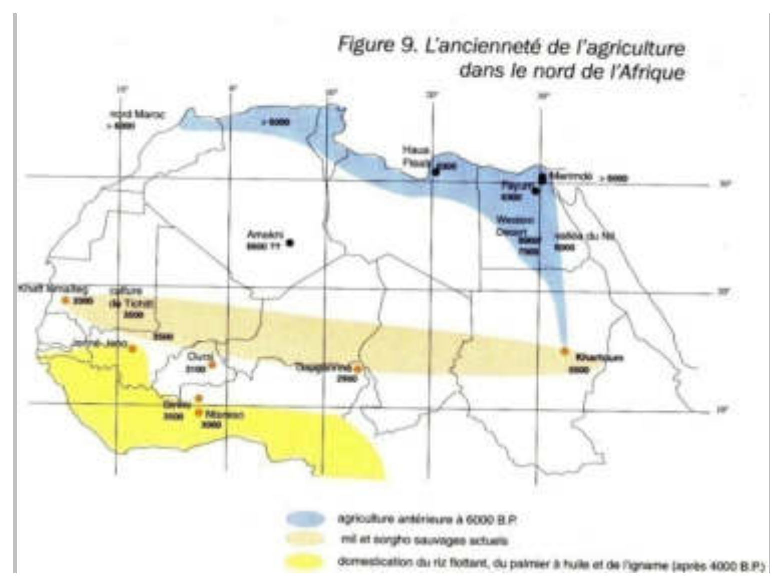
وانطلاقا من رؤية الباحثين الفرنسيين مثل كامبس وسينتاس وغيرهم، فنتسائل لماذا استبعدت فكرة قدوم هذا النمط "المصاطب " من الشرق الأوسط مثل سوريا التي عرفت هذا النوع من المعالم الجنائزية في فترات ما قبل الحضارة الفينيقية، فالتأثيرات من هذه المنطقة واردة وذلك بامتداد وتواصل رقعتها الجغرافية التي كانت بمثابة ممر إجباري أثناء انتشار

---

[1]- Camps G., Aux origines de la Berbèrie, Massinissa ou le début de l'histoire. p. 133.

[2]– الأوبسيدين: نوع من الصخور الزجاجية البركانية التكوين، تنشأ خلال التبريد السريع للحمم البركانية المنصهرة، فقد تكتسي عدة ألوان كالأسود، الأحمر والبنّي. وقد استعملت هذه المادة من طرف إنسان ما قبل التاريخ لصناعة أدواته اليومية ذات الجودة العالية.

الزراعة من بلاد ما بين النهرين إلى مختلف ربوع شمال إفريقيا عبر مصر، وذلك ابتداءا من الألف السادسة قبل الوقت الحاضر.



خريطة توضح انتشار الزراعة من المشرق(عنVernet) [1]

والأمر المادي الذي قد يبين هذه الفرضية هو العثور بداخل إحدى مصاطب الركنية وبونوارة وسراديب سيلا على مصاقل من نوعِ Cyprae cauris التي تعيش في مياه المحيط الهندي والهادي فقط.

هذا الاستنتاج مستخلص في حالة ما إن صدّقنا بوجود تأثيرات خارجية، حلّت بطريقة أو بأخرى على مناطق شمال إفريقيا.

أما رأينا الخاص في هذا الموضوع، المتعلق بالمصاطب التي درسناها، فهي لا تنطبق على تلك الموجودة في أوروبا، بحكم عدّة عوامل تكمن في حجمها وهندستها، فالمصاطب الأوربية أكبر حجما بكثير وأقدم تأريخا، فهي بمثابة غرف جنائزية بارزة ووحيدة تبنى على الأرض، قد تغطى بتلال ترابية معدومة التحديد الحلقي.

أما تلك المنتشرة في شمال إفريقيا، فهي متواجدة بنسبة 99% داخل حلقات حجرية دائرية متنوعة ومتعددة الأشكال. غرفها الجنائزية صغيرة الحجم، تكون مندسة أو بارزة مبنية عن

1- Vernet R., Le Sahara préhistorique entre l'Afrique du nord et le sahel. p.97.

طريق ركائز حجرية ثنائية إلى رباعية أو عن طريق تشكيل غرف بواسطة جدران حجرية عديدة و متراصّة.

فهذا الشكل العام، ما هو إلاّ تطور لعمارة التلال الجنائزية المحلية المنتشرة من المناطق الصحراوية ذات الأشكال الخارجية المطابقة للفضاءات الملحقة لمصاطب الشرق الجزائري والقطر التونسي.

فبتطور حلقاتها وسياجاتها الحجرية أفقيا أي بإضافة صفوف حجرية الواحدة فوق الأخرى أدى ببروز الغرف الجنائزية على سطح الأرض، مما نتج عنه ظهور أنماط البازينات القلاعية ذات الغرف الجنائزية المبنية بجدران كاملة أو بواسطة ركائز طويلة. وما شكل المصطبة إلا تطور للغرف الجنائزية ذات الصندوق الحجري المشكّل تحت سطح التل عن طريق ركائز ومغطّى ببلاطة كبيرة، فشكل هذا الصندوق الحجري هو الذي أعطى شكل المصطبة البارزة والذي مازال موجود في الأنماط المعروفة بإندساس غرفها[1].

أنماط المصاطب:

المصاطب متواجدة بنسبة 99% داخل حلقات حجرية دائرية متنوعة و متعددة الأشكال. غرفها الجنائزية صغيرة الحجم، تكون مندسة أو بارزة مبنية عن طريق ركائز حجرية ثنائية الى رباعية أو عن طريق تشكيل غرف بواسطة جدران حجرية عديدة و متراصة. و من جملة هذه الأنماط، نجد ما يلي:

1- المصاطب المنعدمة الحلقات

هذا النمط من المصاطب عثرت عليه بأعداد قليلة في مقبرة رأس العين بومرزوق، ممثلا في شبه نمطين، إحداهما مندسا و الأخر بارزا. و كلاهما لا يحتوي على أي شكل من أشكال الحلقات، التي عادة ما تحيط بالمصاطب.

أ- المصاطب المندسة، المنعدمة الحلقات:

[1] مراد زرارقة، انتشار وتنميط المصاطب لمنطقة جنوب لخروب. آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، الجزائر 2011، ص.167-202.

ما يظهر منها، سوى المائدة التي تكاد أن تكون موضوعة فوق سطح الأرض مباشرة، فهي بالتالي تعلوه ببضعة سنتيمترات فقط. تغطي هذه المائدة، غرفة جنائزية محددة عن طريق ركيزتان حجريتين طويلتين في كلا الجهات الشرقية و الغربية عامة، وفي مصاطب أخرى عن طريق أربع صخور موزعة على الأطراف الأربعة للغرفة الجنائزية قصد حمل المائدة على سطح الأرض بصفة جزئية، فالإرتفاع هذا كان مقصودا بحكم أن الصخور الأربعة في هذه الحالة المتباعدة ذات الوضعية القطبية، لا يمكنها أن تشكل لنا أبعاد و تحديد الغرفة الجنائزية المؤطرة. هذا ما يتركنا نعتقد بأن هذه الأخيرة، قد نحتت في الجلمود الجيري لسطح الأرض. فالصخور الأربعة الحاملة للمائدة نصبت من أجل خلق فراغ أو منفذ و لو بسيط له علاقة بالتهوية و الإنارة الطبيعية أو مرتبط بالمعتقدات و الطقوس الجنائزية.

و تدعيما لهذه الفكرة أو التحليل، فمن الملاحظ أن لهذه المائدة الجنائزية شكل ممدود، ذو زاوية قائمة في الجهة الجنوبية الشرقية، على عكس ما نجده في الجهة الشمالية الغربية أين الركن أو الزاوية معدومتين.فحافة المائدة على هذه الواجهة تنطلق من الزاوية الشمالية الشرقية الى غاية الزاوية الجنوبية الشرقية، مما كونت لنا شكل مدبب في هذه الجهة أي الجهة الجنوبية الغربية. و اذا ما لاحظنا وضعية الصخور العمادية الأربعة فنجدها منصوبة تحت الحواف القصوى للمائدة، حفاظا على توازنها من فوق سطح الأرض.

و بهذه التقنية و الإنسجام الكاملين بين شكل المائدة الجنائزية و وضعية الصخور العمادية نستنتج أيضا، بأن بناؤا هذه المصطبة قد أحضروا المائدة من المحجرة و وضعوها بقرب القبر المراد الدفن فيه قصد تنصيب الركائز تناسبا مع أطوالها و مراعاة لشكلها.و هذا ما يدل على أن تحضير العناصر المعمارية لبناء هذه المصطبة كانت تجلب من المحجر في آن واحد. و كان هذا النوع من المصاطب يبنى على الأماكن المسطحة

ب-المصاطب البارزة، المنعدمة الحلقات:

نجد هذا النوع من المصاطب في جبل المونس برأس العين بومرزوق. و هو كالنمط السابق لا يحتوي على أي شكل من أشكال الحلقات الدائرية. لكن أوجه الإختلاف تكمن، في الطبيعة

الطبوغرافية للأرضية التي تحويهما، التي نجدها قد أثرت بشكل ملحوظ على الشكل الخارجي للغرفة الجنائزية، و التي نجدها في هذه المرة نصف بارزة. و هذا راجع للإنحدار الشديد التي تقع فيه هذه المصطبة، مما أدى ببروز الركيزة الغربية (الجهة السفلى للمنحدر)، و إندساس أو قصر الركيزة الشرقية.(الجهة العلوية للمنحدر). هذا التفاوت في إرتفاع الركائز على مثل هذه الأرضية يسمح بالحصول على تسطيح أو بأفقية المائدة الجنائزية، و بالتالي خلق توازن منتظم و ثقل متوازي على كلتا الركيزتين.

و في بعض الأحيان، نجد بأن الركيزة الواقعة في أعلى المنحدر تكون مندسة أو قصيرة العلو على تلك الركيزة المقابلة لها و الموجودة في أسفل المنحدر، و عند وضع المائدة من فوقيهما، تنحني المائدة الجنائزية إلى الجهة العلوية للمنحدر، فتستريح على الركيزة القصيرة و على أرضية الأساس الجلمودي في نفس الوقت، كي تخفف الثقل بكثير على الركيزة السفلى للمنحدر، وبالتالي تقيها من الانفراج و الانهيار.



مصطبة بارزة، منعدمة الحلقات

و لتدعيم أقوى، قد تكون الركيزة السفلية مغروسة في فجوة طبيعية للجلمود الجيري أو قد هيئت لها حفرة منحوتة تغرس بداخلها، لتزيدها تدعيما و استقرارا.

يستغل المنحدر على مثل هذه الطبوغرافية، في زحزحة المائدة الجنائزية من على سطحه إلى غاية الوصول على الركيزة العلوية، أين ترفع المائدة و تجلب إلى غاية الركيزة السفلية. وقد يستعان في بعض الحالات بتقنيات ثانوية، قد تتمثل في عملية ربط و شد الركائز فيما بينها من الداخل، ومن الخارج أيضا، حيث تشد الركيزة الواقعة أسفل المنحدر بدعامات خشبية مؤقتة إلى غاية الإنتهاء من الوضع الكامل للمائدة على الركيزتين.

هذه الطريقة في بناء المصاطب، تسمح لبناؤها بالإقتصاد في الوقت والجهد اللذين يكونا معتبرين إذا ما بنيت بطريقة بناء و رص الحلقات ذات الدرجات التي يصل إرتفاعها مستوى الركيزة السفلى مع ملأ الفراغ الحاصل بينهما، من أجل حماية المصطبة من الانهيار.

على ظهر إحدى الموائد لمصطبة من هذا النوع، لاحظت وجود حزات منقوشة بطريقة طولية و متعرجة، أنجزت أثناء وجود هذه المائدة ضمن الجلمود الجيري الطبيعي، فقد أريد عن طريق هذا النوع من الحزات، نزع قطع صخرية تستغل في تشكيل الحلقات الدائرية. فإذا كانت هذه الفرضية مقبولة، فان المصاطب الواقعة على المنحدرات والمعدومة الحلقات، تعد أحدث أو معاصرة لتلك التي تحتوي على حلقات.

ج- الغرف الجنائزية المنعدمة الحلقات و السياجات

هناك عدد قليل من المدافن لا تحتوي على أي شكل من أشكال الحلقات الدائرية ولا مختلف السياجات الحجرية الأخرى، وهي متمركزة في مقبرة رأس العين بومرزوق فقط. أين نجد قبرين متواجدين على مقربة من المصاطب ذات الأنماط المتنوعة وبوجه التحديد بمقربة من شعبة المونس على مرتفع مسطح.

هاذين القبرين يبتعدان من بعضهما ب:3،70 م و لديهما نفس العمارة الجنائزية حيث نجدهما مبنيين بواسطة سلسلة من الحجارة المتوسطة ذات التعديل والتهذيب المتقنين من جهتيهما الداخلية المكونة للقب، مقاييس الغرفة الأولى تقدر ب:4،10 م طولا و1،20 م عرضا، بينما الثانية تقدر ب: 3،25م طولا و 1،30م عرضا، والشيء الملفت للإنتباه يمكن في وجودها على نفس المحور.

لم أجد أثرا لموائد هاتين الغرفتين الجنائزيتين، فقد يكون شكلهما الفريد قد ألفت إنتباه الباحثين الفضوليين أو غيرهم، فقد أتلف ما بداخل غرفتيهما الجنائزيتين، فهذه الأخيرة تحتوي حاليا على ردوم مشكلة عن طريق مجموعة كبيرة من الحجارة ذات الأشكال المختلفة، حتى بعض عناصر الجدران الحجرية أزيحت من أماكنها الأصلية حيث نجد بأن الركيزة الشمالية الشرقية للغرفة الأولى قد حولت الى الجهة الجنوبية الغربية، وفي الغرفة الثانية أسقطت إحدى حجارة الجدران إلى داخل الغرفة الجنائزية.



غرفة جنائزية منعدمة الحلقات و السياجات بقصر محيجيبة (ت. الأستاذ)

2- المصطبة المحددة:

هذا النوع من المصاطب، عثرت عليه ممثلا في قبر واحد بالمونس براس العين بومرزوق. المصطبة في حد ذاتها تشبه المصاطب المألوفة، فهي متكونة من ركيزتين طويلتين موجهتان من الشرق الى الغرب، وركيزتين صغيرتي الحجم موجهتان شمال جنوب. فيكون الكل غرفة جنائزية مستطيلة الشكل، تغطي هذه الاخيرة ببلاطة ممدودة وموضوعة على الركيزتين الجانبتين فقط، بطريقة لم تسمح بالتغطية الكاملة للقبر، وهذا راجع الى شكل المائدة من واجهتها البطنية التي تعد غيرمستوية ومتطابقة مع قمم الركائز، اذا ما حاولنا نصبها في مركز الغرفة الجنائزية. فهذاالإختلاف في الإنسجام، أدى بوجود المائدة في موضع لا مركزي، و لا يغطي الغرفة الجنائزية كليا، لكنها حضيت باستقرار و توازن جيد.

تعد هذه المصطبة، من المصاطب البارزة والمتواجدة على أرضية مستوية و ثابتة، حددت أركانها وأرجائها، بثلاث صخور مربعة تقريبا مكونة لنا شبه فضاء مستطيل يقدر ب 12 م. طولا و 10م. عرضا. هذا التحديد عن طريق رص صخور متقنة الصنع ومتوازية مع هيئة وإتجاه المصطبة الكلي، ليست له أي علاقة بالدور الحامي و الواقي للقبر من الانهيار للاسباب التالية:

- كون المصطبة موجودة في مكان مسطح.
- التحديد بهذه الحجارة يمس أركان الفضاء المستطيل فقط.

مما يتركنا نستنتج بأن دورهذا التحديد الجزئي كان عبارة عن خلق فضاء يحاط بالمصطبة له بعد مقدس وقد يدخل في إيطارالمحافظة العقائدية لحرمة القبر.

أما عن مسألة عدم إستكمال التحديد الكلي لفصاء المصطبة فمن المرجح أن يكون ذلك قد أنجز بمواد عضوية قد زالت مع مرور الزمن.

3- المصاطب المندسة ذات الحلقات الدائرية الفريدة:

هذا النوع من المصاطب، نجده منتشرا في جميع المقابر التي تدخل في الإيطار الجغرافي لمنطقتي البرمة و جبل الفرطاس.

كما نجد هذا الصنف، متواجدا على مسطحات المرتفعات، وعلى المنحدرات البسيطة. مصاطبها مندسة في سطح الأرض، تحتوي على أربعة ركائز، اثنتان منها أي الجانبيتين ذات الأبعاد الطويلة، هي التي تحمل المائدة. أما الصغيرتين، فتعد بمثابة صخور تحدد أبعاد الغرفة الجنائزية من الجهات الشمالية و الجنوبية.



مصطبة مندسة ذات حلقة دائرية فريدة (راس العين بومرزوق) (ت. الأستاذ)

التوجيه الشامل لهذه المصاطب، نجده في الغالب متوجه من الشرق الى الغرب. ما عدا بعض الأمثلة التي نجدها موجهة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي.

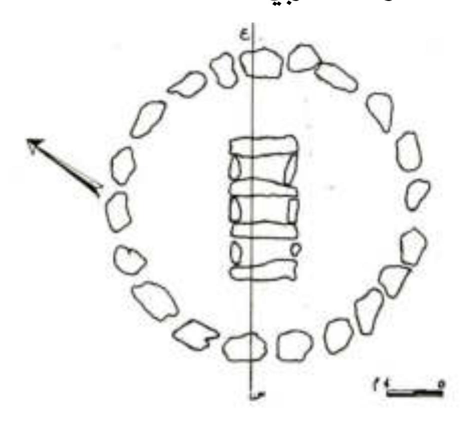
خصائص هذا النوع، نجده ممثلا في وجود حلقة دائرية فريدة تحيط بالمصطبة وهي ذات أقطار متفاوتة، حيث نجدها تتراوح ما بين 3 م و 9 أمتار.

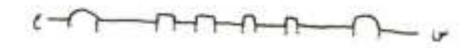
الحلقة الدائرية مشكلة عن طريق غرس حجارة ضخمة، ذات أشكال وأحجام متباينة. ترص الواحدة تلو الأخرى في الأرض بمراعاة الحصول على شكل دائري يحيط بالقبر.

وعلى الأماكن ذات الإنحدار البسيط و المتوسط، فتضاعف الحلقة من جهة المنحدر بصف عمودي ثان من الحجارة، يعلوا الصف الأول و هذا لغاية الحصول على مستوى أفقي للفضاء الواقع بين الحلقة و المصطبة.

هناك مثال لمصطبة فريدة من نوعها، عثرت عليها في منطقة تسمى بطابق العريان في راس العين بومرزوق، أين نجد بداخل الحلقة الدائرية على ثلاثة مصاطب مندسة في الأرض ومتتالية الواحدة جنب الأخرى، تحتوي على أربعة ركائز مشتركة فيما بينها، يقدر طول كل واحدة بـ 1.20 م. أما ركائزها الصغبرة فعددها ستة، تنتمي كل إثنتين منها لكل مصطبة على حدى.

موائدها الجنائزية أتلفت و لم أجد لها أثر في عين المكان. هذه القبور الثلاثة نجدها موجهة في مجملها من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي.



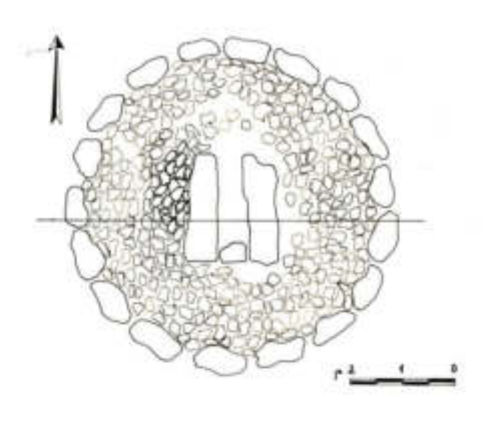


مخطط و مقطع لمصاطب جماعية داخل حلقة دائرية فريدة

وعادة ما يملأ الفضاء الواقع بين الحلقة الدائرية والمصطبة بخليط من التربة الممزوج عن غير قصد بحجارة متوسطة الحجم الا في مقبرة جبل المراح، أين نجد عملية تبليط كاملة لهذا الفضاء عن طريق ترصيع حجارة مسطحة نوعا ما و ذات الأحجام المتوسطة، الواحدة قرب الأخرى، مما يعطينا شكل فسيفساء حجرية تشبه ظهر السلحفاة.

هذه التقنية تمنح للأرضية المحاطة بالمصطبة، صلابة و قوة في تدعيم ركائزها و شدها أكثر عن طريق اتكائها على الحلقة الدائرية. كما تقي القبور من التعرية بجرف تربتها وحتى من إنتشار النباتات من فوق فضائها المباشر.

هذا النوع من المصاطب، عثرت عليه في منطقة واد الحوت بدائرة القالة أين كانت تعيش قبائل ليبية كانت تدعى بالميزيكيري Misiciri.

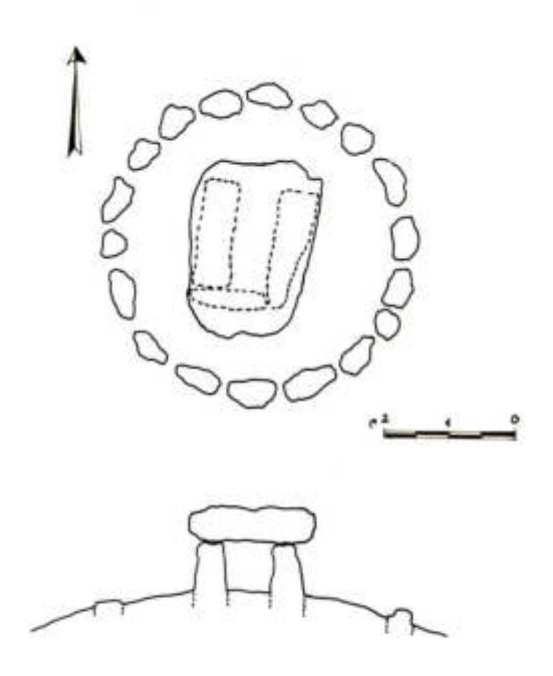




مخطط و مقطع للمصطبة المندسة ذات الحلقة الدائرية الفريدة وذات الفضاء على شكل ظهر السلحفاة.

4- المصاطب البارزة، ذات الحلقة الدائرية الفريدة.

وهي أكثر الأنماط تعدادا وإنتشارا في جميع مقابر البرمة و جبل الفرطاس، خاصة منها مقبرة سيقوس، أين نجده يفوق تعداد مجمل الأنماط الأخرى.



مصطبة بارزة ذات الحلقة الدائرية الفريدة (سيقوس)

هذا النمط من المصاطب، يشبه بكثير المصاطب المندسة ذات الحلقة الدائرية الفريدة في الشكل العام للقبر، لكن أوجه الاختلاف بينهما تكمن في شكل الغرفة الجنائزية، التي تكون هذه المرة جد بارزة، و تعلوا سطح الأرض بكثير اذا ما قارناها بالنمط السالف الذكر. ويرجع هذا الأمر الى كبر و علو الركائز الجانبية المكونتان عادة للجهات الشرقية و الغربية. كذلك علو الركيزتين الصغيرتين الواقعتين في الجهات الشمالية و الجنوبية، و التي نجدها أقل علوا في المصاطب المندسة.

هذا ما يجعلنا نستخلص، بأن سطح الغرفة الجنائزية في مثل هذا النمط، موجودة على مستوى الأرضية المحاطة بالمعلم، و ليست مغروسة تحت سطحها.

و في بعض الأحيان، يوجد تبليط بواسطة حجارة شبه مسطحة فوق الفضاء الواقع بين المصطبة و السياج الدائري كما هو الحال في مقبرة جبل المراح.

نجد هذا النوع من المصاطب منتشرا على كامل المعالم الجنائزية للشرق الجزائري، لكنها تظهر جليا، خلال عمليات الحفريات العلمية، كإحدي مصاطب بونوارة التي نقب فيها السيد كامبس، أين وضع مقطعا للمصطبة المنقب عنها، يظهر من خلالها بأن الركائز المحددة للغرفة الجنائزية والحاملة للمائدة، نجدها منصوبة عموديا فوق سطح الأرض مباشرة، دون تهيئة

حفر تغرس بداخلها هذه الركائز من أجل منحها استقرارا أقوى. بل اكتفى بناؤها من وضع بضعة صخور حول قاعدة إحدى الركائز بمثابة دعامات لها، و وضع صخور من تحت الركيزة الأخرى لغرض رفعها قليلا عن سطح الأرض كي تستوي في الارتفاع مع الركيزة الأولى تحسبا لإستقبال المائدة الجنائزية بطريقة أفقية.

قد تكون نفس هذه التقنية أو الطريقة قد أستعملت في بناء هذا النمط من المعالم الجنائزية آلا و هو المصاطب البارزة.

التوجيه الشامل لهذه القبور فنجده يختلف من مصطبة لأخرى وبالتالي فهو متشعب و متنوع.



مصطبة بارزة ذات حلقة فريدة (ت. الأستاذ)

5- المصاطب ذات الحلقة الأسطوانية الفريدة:

هذا النوع من المصاطب، نجده في مقبرتي بووشن و سيقوس، أين نجدها مبنية على الجلمود الجيري العاري تماما من كل أشكال التربة.

الغرفة الجنائزية محاطة بسياج دائري فريد الحلقات، متكون من عدة طبقات صخرية، تتراوح عموما ما بين ثلاثة و خمسة صفوف، متراصة الواحدة تلوى الأخرى بدون أي شكل من أشكال الأسمنت.

بنيت الغرفة الجنائزية في كلتا الموقعين عن طريق أربعة ركائز ضخمة كالمعتاد أو عن طريق بناء جدران بالحجارة المتوسطة الحجم، مرصوصة بصيغة بسيطة في غالبيتها، و نادرا ما تكون متقنة الصنع، و ذلك بنحت الحجارة على الواجهات الداخلية للغرفة الجنائزية، و وضعها بطريقة محكمة، حيث ترص الواحدة فوق الأخرى بمراعاة أفقية الصفوف و إحترام موضع الفواصل التي نجدها تتعاكس في ما بين الصفوف. هذه الطريقة تمنح للغرفة الجنائزية إستقرارا و تثبيتا محكمين، و تقي جدرانها من الإنفراج و الإنفتاح.

يملأ الفراغ الواقع في الفضاء المنحصر ما بين مدرجات الحلقة الدائرية، ذات الشكل الأسطواني و المصطبة في حد ذاتها بواسطة حجارة كبيرة الحجم، لغاية الوصول إلى قاعدة المائدة الجنائزية.

تترك المائدة في بعض المصاطب بارزة نوعا ما، و هذا ربما لخلق منفذ لإعادة استعمال الغرفة الجنائزية للدفن ثانية.

و في سيقوس قام شباسيير Chabassiére بالتنقيب على إحدى أنواع هذه المصاطب أين عثر أثناء نزع الحجارة المتراصة فوق الفضاء الفاصل بين الحلقة الأسطوانية و الغرفة الجنائزية على سلم مبني بالحجارة و يتكون من خمسة درجات، كانت تؤدي مباشرة إلى عمق الغرفة الجنائزية. فهذا المنفذ المباشر، يدل على إعادة استعمال هذه المصطبة مرة أخرى أو مرات عديدة.

و بنفس التركيبة العمودية لهذا النمط، عثر فروبنيوس Frobenius في مقبرة سيلا على مصطبة متمركزة على منحدر، لها فضاء مربع الشكل، محدد عن طريق مربع من الحجارة، تقدر أبعاده بحوالي 4 م.

جدارالجهة السفلية للمنحدر، مبني عن طريق رص ستة صفوف من الحجارة. عددها يبدأ في التنازل العددي كلما صعدنا نحو الجهة العليا للمنحدرالى غاية الوصول لحافة المربع المحدد لهذه المصطبة من الجهة العلوية، فهو مشكل من تراص صف واحد من الحجارة.

و تكون المصطبة بالتالي مندسة داخل هذا الفضاء المربع.

الغرفة الجنائزية بنيت بنفس الطريقة التي بني بها السياج المربع. و جدرانها مشكلة بوضع الحجارة الواحدة قرب الأخرى.

سطح الغرفة الجنائزية المغطى ببلاطة واحدة، وجد على نفس مستوى الفضاء المربع.



مصطبة ذات الحلقة الأسطوانية (بووشّن). (ت. الاستاذ)

6- المصطبة ذات الحلقتين الدائريتين الأسطوانيتين

يكمن إنتشارهذا النوع في الواجهة الشمالية الشرقية لجبل الفرطاس و بوجه التحديد على نموذج وحيد وجد في مقبرة سيقوس فقط. لم يبقى أي أثر لهذه المصطبة حاليا، حيث قام شباسيير Chabassiere بإجراء حفرية من حوله و بداخله، بدون أن يعيد بناءه بعد عملية التنقيب فأتلف هذا النمط الى الأبد.

كانت هذه المصطبة متكونة من حلقتين دائريتين أسطوانيتين و مركزيتين. قدر قطر الدائرة الخارجية ب 8.50 م، و كانت متكونة من خمسة صفوف حجرية ذات الحجم الصخم، متراصة الواحدة فوق الأخرى، الأرضية التي تعلوا هذه الأسطوانة الخارجية، تعد بمثابة قاعدة تعتمد عليها الحلقة الأسطوانية الثانية وبشكل مدرج حيث يقدر قطرها بـ 4.70 م. وتتكون بدورها على ثلاثة صفوف من الحجارة ذات الحجم الأصغر من صخور الحلقة الأولى. و تكون بدورها الأسطوانة الثانية، ذات الفضاء المتكون من صخور كبيرة الحجم [1] الغرفة الجنائزية،

[1] - Chabassiere j, Ruines et dolmens du djebel Fortas….P. 117

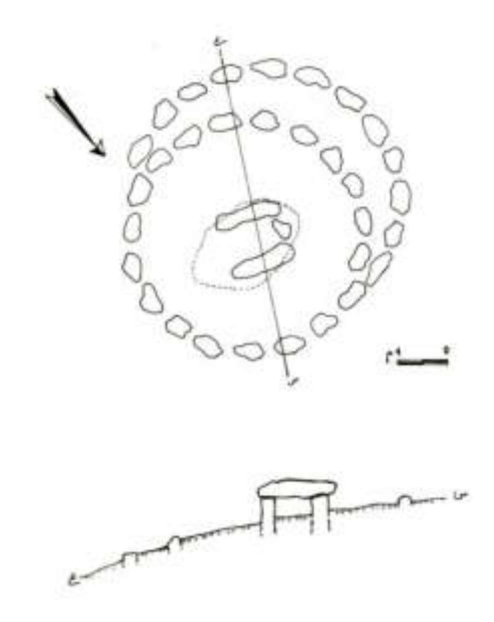
لها شكل مستطيل تقدر أبعادها ب1.50 م طولا على 0.90 م عرضا. وجدت مندسة داخل الأسطوانة الداخلية، فما كان يظهر منها سوى السطح العلوي للمائدة.

7- المصاطب ذات الحلقتين الدائريتين اللامركزيتين

نجد هذا النوع من المصاطب متواجدا في كل المقابر الجنائزية للبرمة و جبل الفرطاس، وينتشر في مجمله على المناطق و الأراضي ذات الإنحدارات البسيطة و الشديدة معا، تعداده متفاوت من مقبرة إلى أخرى، لكن نجده بأعداد معتبرة في مقبرتي رأس العين بومرزوق و جبل المراح، الواقعتين في نفس المنطقة.

خصائص هذا النمط، تكمن في وجود، حلقتين دائريتين لا مركزيتين، أين نجد الحلقة الدائرية الأولى، التي تحيط بالمصطبة مباشرة، بأن مركزها يكمن في قلب الغرفة الجنائزية.

أما الحلقة الثانية، فهي في الأصل عبارة عن نصف حلقة اذا ما فصلناها عن الحلقة الأولى. ونجدها دوما في جهة المنحدر، مركزها مخالف لمركز الحلقة المذكورة، الواقعة حول المصطبة، فهي بالتالي محاذية له.



مخطط و مقطع لمصطبة ذات حلقتين دائريتين لا مركزيتين

في بعض الأحيان، و خصوصا في مقبرة سيلا، نجد بعض المصاطب التي تعد من هذا النمط، لها نفس التركيبة للحلقات الدائرية المذكورة سالفا، إلا أن الغرفة الجنائزية موجودة في مركز

الحلقة الدائرية الكبرى أي تتوسط الحلقة الثانية، التي غالبا ما نجدها ذات شكل إهليجي أكثر منه دائريا. يكون القطبين الممدودين في الإهليج موجهان من الجهة العلوية للمنحدر الى غاية جهته السفلى، و بالتالي تكون النصف حلقة المتبقية، متواجدة داخل هذا الفضاء، و تكون قريبة من الغرفة الجنائزية من جهة واحدة، مما يمنحها و يعطيها شكل لا مركزي مع المصطبة.

تتراوح أقطار هذه الحلقات، ما بين 4 و 10 أمتار في جميع المقابر تقريبا. ورغم صغر محيطها مقارنة مع النمط القادم (المصاطب ذات الثلاثة حلقات الدائرية اللامركزية)، فنجدها تحتوي على بعص العينات، أين عثرت بداخل حلقاتها على مصطبتين متجاورتين الواحدة قرب الأخرى، تفصل غرفتيها الجنائزية ركيزة مشتركة.

هذه الغرف الجنائزية تبنى عن طريق أربعة ركائز كالمعتاد، و ذات توجيه له إرتباط و صلة بزاوية طلوع الشمس حسب الفصول. فيكون توجيهها عموما، من الشرق الى الغرب مع بعض الإختلافات البسيطة كالشمال الشرقي، الجنوب الغربي أو من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي.

8- المصاطب ذات الثلاثة حلقات دائرية لا مركزية

كمثل النمط السالف الذكر، نجد هذا النوع منتشرا في جميع المقابر المدروسة ما عدا مقبرة بووشن.

كما نجده متمركزا على المنحدرات البسيطة و الشديدة في نفس الوقت. خصائصه تكمن في إحتوائه على ثلاثة حلقات دائرية لا مركزية. فغالبا ما تكون المصطبة بمثابة مركزا للحلقة الثانية أي الوسطى، أما الحلقتين الأولى و الثالثة، فموضعهما نجده غير متمركزا مع الغرفة الجنائزية، التي تبنى كسائر المصاطب الأخرى.

وفي غالب الأحيان، فإن الحلقة الدائرية الرئيسية والتي تجعل من المصطبة مركزا لها، نجدها مشكلة من صخور متجانسة في الحجم و البعد فيما بينها، على عكس أنصاف الحلقتين الأخرتين اللتين نجدها في الكثير من الأحيان بأنها ليست من نفس حجم الأولى، فهي تصغرها قليلا.

هذا ما جعلني أعتقد بأن هذه الحلقات قد بنيت على فترتين أو أكثر، فقد يكون بناء المصطبة في بادئ الأمر قد أحيط بحلقة دائرية فريدة ذات الشكل والحجم المتجانسين ثم دعمت لاحقا بنصفين من الحلقات لغرض شد التربة وخلق فضاءات تستقر فيها مجمل العناصر المكونة للقبر.

فان كانت هذه الفرضية مقبولة، فإن أعمال الصيانة و الترميم في ذلك الوقت كانت تمتهن من طرف أهل الموتى أو من طرف أشخاص مؤهلين ومختصين في كل ما يتعلق بالعمارة الجنائزية والدفن.

أما عملية بناء المصاطب بثلاث حلقات لا مركزية بحجارة ذات الأحجام المتجانسة فقد يكون ذلك قد تم في فترة واحدة، تحسبا لكل طارئ و لكل تنبئ سلبي يتعلق بالمحافظة على هيكل المصاطب الواقعة في المنحدرات.

وبالتالي قد يعني هذا بأن الخبرة المتحصل عليها في موضوع المحافظة على الوحدة الفزيائية للمصاطب، تضع المصاطب المبنية بثلاث حلقات لا مركزية بحجارة ذات الأحجام المتجانسة في موقع أحدث من تلك المبنية بثلاث حلقات لا مركزية بحجارة ذات الأحجام غير المتجانسة.

9- المصاطب ذات الحلقتين الدائريتين المركزيتين

نجد هذا النمط منتشرا في كل المقابر الجنائزية لمنطقتي البرمة و جبل الفرطاس، و هي ذات أعداد غير معتبرة ما عدا في مقبرة جبل المراح أين يكثر عددها نوعا ما.

موقعها الطوبوغرافي يتمركز عموما على قمم الهضبات و الأماكن المسطحة التي نجدها فوق الأذرع و القمم.

خاصية هذا النمط تكمن في وجود حلقتين دائريتين تحيطان بالغرفة الجنائزية بشكل مركزي، أي أن كل حلقة دائرية تتخذ من المصطبة مركزا لقطرها.

فالقطر الإجمالي للحلقة الكبرى يتراوح ما بين 6 و 12م. أما الحلقة الدائرية الداخلية فتصغر عن الكبرى بحوالي مترين في أكبر تقدير لها، و هي عادة ما نجدها مشكلة عن طريق حجارة متوسطة الصخامة و ذات الإنسجام التام في أحجامها بالنسبة للحلقتين، هذا ما قد يوحي بأنهما بنيا في نفس الفترة معا. غير أن هناك بعض النماذج القليلة العدد المحصورة في مقبرتي

سيلا و راس العين بومرزوق أين نجد بهما أن الحلقات الدائرية الداخلية تكون أصغر نوعا ما من الداخلية.

و في جبل المراح و كالعديد من فضاءات مصاطبها، فكثيرا ما نجد تبليط واضح يعلوهذه المساحة بواسطة صخور شبه مسطحة يشبه شكلها العام شكل ظهر السلحفاة.

10- المصاطب ذات السياج المربع الوحيد:

عثرت على هذا النمط من المصاطب في جميع مقابرالبرمة وجبل الفرطاس ماعدا مقبرة سيقوس، هذا النمط النادر في مختلف المقابر الميغاليثية بشمال افريقيا، قد استقطب فضول الباحثين اللذين أجروا حفريات على مختلف هذه المقابر. و يكون ذلك قد أدى بهم الى حفر هذا النمط في سيقوس أيضا. علما بأنني عثرت على عدة أثار لحفريات سابقة أين هدمت العديد من المصاطب سواء بسيقوس أو بمختلف المقابر الأخرى. و لهذا الأمر فإنه من غير المستبعد، وجود مصاطب ذات الفضاء المربع بسيقوس.

خصائص هذا النمط تكمن في وجود سياج حجري مربع الشكل، مصنوع من الحجارة الضخمة، يحيط بمصاطب لها نفس الخصائص بالغرف الجنائزية المعروفة. توجهاتها لا تختلف أيضا عن تلك المذكورة سالفا، فهي موجهة في غالبيتها من الشرق الى الغرب مع بعض الإنحناءات كالشمال الشرقي و الجنوب الغربي.

تكون الغرف الجنائزية مندسة في الأرض أو بارزة جزئيا، فلم أعثر على مثال واحد تكون فيه المصطبة بارزة.

ان موضع هذه القبور من حيث التوزيع الطوبوغرافي، فهو منحصراعلى المواقع المسطحة في كل من جبل المراح، بووشن و سيلا. أما في راس العين بومرزوق و خصوصا في المونس، فعثرت عليها في أسفل المنحدرات، على أراض مسطحة، تقرب لمجاري المياه كالشعاب.



مصطبة ذات سياج مربع وحيد براس العين بومرزوق. (ت. الاستاذ)

وفي جبل المراح، بلط الفضاء الفاصل بين السياج الحجري المربع والغرفة الجنائزية بحجارة شبه مسطحة، هذه االظاهرة تنطبق على مختلف الأنماط التي رأيناها سابقا بمختلف أنواعها. أما بالنسبة للشكل العام لهذا النمط، فيرى السيد كامبس[1] بأن المخططات المربعة و المطافية فهي من أصول صحراوية، لكن تأثيرها على المعالم الجنائزية لشمال افريقيا يعد مختزلا كما أضاف. فمن خلال هذه العبارة، فيتعين من خلالها بأن السيد كامبس لم يقوم بزيارات ميدانية شاملة للمعالم الجنائزية للشرق الجزائري، فهي تزخر بعدد معتبر من المعالم ذات التخطيط المربع.

مقبرة جبل المراح التي تعد أصغر مقبرة من حيث المساحة والكثافة العددية، لكنها وافرة الأنماط ذا ت البناءات المتطورة والمحكمة الصنع، والتي تحتاج الى عناية خاصة بحكم موقعها الجغرافي االقريب من التجمع الكبير لمقابر راس العين بومرزوق و بقايا بعض الهيئات السكنية القديمة.

عثرت بها على مصطبة من هذا النمط في مكان مسطح، أجريت عليها تعديلات لاحقة من أجل اعادة الدفن بداخل سياجها المربع، الذي كان يحتوي في بادئ الأمر على مصطبة واحدة تقع

1 - Camps G, aux origines de la Berberie….P.207.

في وسط الفضاء المربع. ففي مدة ثانية، لم يعيد إستعمال نفس القبرمن أجل إعادة الدفن بل بنيت مصطبة ثانية محادية للأولى وقد تمت الإستعانة في بناءها لنفس الركيزة الجنوبية للمصطبة الأولى.

و لنصب الركيزة الثانية للمصطبة الجديدة، قام البناؤون بنزع واجهة السياج المربع الجنوبي بنسبة 80 بالمئة ووضعوا في مكانه الركيزة المرجوة التي تحدد لنا الغرفة الجنائزية من جهة و تعتبر بمثابة سياج يحيط بالمصطبة من جهة أخرى. فلهذا الأمر أختيرت من الحجر الكبير الذي لا يتماشى من حيث الشكل والمظهر، لا مع الركائز المعتادة و لا مع الانسجام العام لصخور السياج المربع، فبوضعها بهذه الطريقة و بهذا الحجم فهي تلعب اذن دورين أو وظيفتين. أما عن 20 بالمئة من السياج الجنوبي الشرقي المتبقى، فقد أحتفظ بناؤا هذه المصطبة الثانية بنفس الصخرة المتواجدة في الركن الجنوبي الشرقي للسياج لكن، أزاحوها قليلا الى الجنوب كي تفسح المجال لوضع الركيزة المذكورة في المكان اللائق.

11- المصطبة ذات السياجين المربعين المزدوجين.

هذه المصطبة الفريدة من نوعها من حيث الندرة، فهي الوحيدة المعثور عليها في المنطقة. فهي متواجدة في مكان قليل الإنحدار بمقبرة راس العين بومرزوق.

خصائصها تكمن في وجود سياجين مربعين، يحيطان بالمصطبة التي نجدها مندسة في الأرض و ما يظهر منها سوى المائدة الجنائزية وجزئين من الركائز. السياج المربع الخارجي، مبني بواسطة حجارة متراسة بطريقة محكمة من جهة المنحدر البسيط، وكأن تركيبها أعيد تعديله اذا ما قارناه بالحجارة المتواجدة في الجهة الشمالية الشرقية و الجنوبية الغربية. فهي متباعدة فيما بينها وشكلها العام غيرمتجانس. أما سياج الواجهة الرابعة الواقعة في الجهة الغربية، فهو غير موجود بسبب الإكتفاء بجبهة الجدار للجلمود الجيري المتواجد في هذا المكان والذي لم تطرأ عليه تعديلات في مساره، بل ترك على شكله الطبيعي.

ما دامت هذه المصطبة المبنية في وضع مركزي مع السياج المربع والمتواجدة في منحدر بسيط، أظيف لها سياج مربع ثاني بداخل الفضاء الأول والمشكل، عن طريق ترصيع حجارة صغيرة

الحجم إذا ما قورنت مع حجارة السياج الأولى. هذا المربع الثاني، منحها تثبيتا إضافيا من أجل إقصاء كل عوامل التعرية و الإنجراف، وبالتالي المحافظة الدائمة لهذا القبر الفريد من نوعه.

12- المصاطب ذات السياج المربع والنصف دائري

هذا النوع من المصاطب نجده متمثلا في نموذجين إثنين متمركزان في رأس العين بومرزوق فقط، و موجودين على أرضية جد بسيطة الإنحدار.

خصائص هذا النمط تكمن في وجود سياج مربع مبني بحجارة جد كبيرة مكونة فضاء شبه مربع. فهي مصطفة الواحدة تلو الأخرى ومتقاربة فيما بينها، حيث نجدها لا تترك مجالا واسعا يسمح بخروج التربة المتواجدة داخل فضاءها أثناء وقوع السيول و الإنجرافات خلال الفصول المطيرة.

بداخل هذا السياج المربع نجد حلقة دائرية غير كاملة المحيط، فهي تنطلق من الجانب الداخلي للواجهة الجنوبية للسياج المربع ثم تطوف بالغرفة الجنائزية إلى أن تصل وتلمس الواجهة الشرقية للسياج المربع، فتحصلت بالتالي على شكل له ثلاث أرباع الدائرة.

هذه الحلقة الدائرية الداخلية نجدها مبنية بواسطة حجارة أقل حجما بكثير من حجارة السياج المربع، لكن في إعتقادي تتماشى مع حجارة الغرفة الجنائزية المبنية بواسطة ركائز عديدة، فما تبقى منها سوى خمسة صخور، فهذا ربما يعني بأن المصطبة في الأصل كانت محاطة بحلقة دائرية كاملة وفريدة. ثم في أوقات لاحقة ولأسباب ما، قد تكون خلال عمليات إعادة الدفن لشخص مهم أو أثناء إتلاف جزء من الحلقة الدائرية، أعيد لاحقا بناء السياج المربع ذو الحجم الكبير أين روعيت فيه المحافظة على الواجهات المستقيمة للحجارة ووضعها في الجهة الخارجية التي تبقى مرتبة في الخارج.

اتجاه الغرفة الجنائزية موجه من الشرق إلى الغرب.

أما النموذج الثاني الذي يعد من نفس النمط، فرغم وجوده في أرضية مسطحة، فقد أتلفت العديد من الصخور المشكلة لسياجه المربع على واجهتين كاملتين(الشمالية و الغربية)كما يكون قد أتلف جزءا آخرا للحلقة الدائرية الداخلية، فما بقي منه سوى الربع. أما غرفته

الجنائزية فهي كاملة و مندسة كليا في الأرض وما يظهر منها سوى المائدة الجنائزية وهي منكسرة على جزئين.

لست أدري ان كان هذا الإتلاف قد حصل في أوقات متأخرة أو قد استعملت هذه الحجارة المنزوعة لبناء مصطبة أخرى في عجالة، علما بأن القدامى كانوا يحترمون أمواتهم وقبورهم رغم إختلاف عقائدهم.

13- المصطبة ذات السياج المربع و الحلقةالدائرية الداخلية

عثرت على هذا النمط في نموذج فريد بالمونس براس العين بومرزوق وهو موجود على أرضية مسطحة.

خصائصه تكمن في وجود سياج حجري جد ضخم له شكل مربع يحتوي فضاءه الداخلي على مصطبة مندسة مازالت محافظة على كل عناصرها. تحيط بها حلقة دائرية فريدة مبنية بواسطة حجارة متوسطة الحجم، و تتجانس مع المصطبة من حيث الشكل العام بما فيه الشكل المركزي الكلي.

فيتعين لي كما لاحظناه في النمط السالف الذكر، بأن هذه المصطبة كانت محاطة في بادئ الأمر بحلقة دائرية فريدة. ثم أعيد بناء سياج مربع من حولهما ليزيدهما استقرار وثبات كبيرين، هذا رغم وجود الغرفة الجنائزية في مكان جد مسطح ومستقر، بما يحتويه من أرضية جيرية على طول أرجائه. ورغم هذا فقد دعمت ثانية بثلاث واجهات من الحجارة، غير أن الواجهة الرابعة المتواجدة في الجهة الجنوبية للقبر فهي مشكله بجبهة موحدة ومستقيمة و هي عبارة عن جلمود جيري طبيعي.

اتجاه المصطبة موجه من الشرق الى الغرب.

14- المصطبة ذات السياج المستطيل و الحلقتين الدائريتين اللامركزيتين

عثرت على هذا النمط متمثلا في نموذجا وحيدا في مقبرة جبل المراح على مكان بسيط الإنحدار.

تحتوي هذه المصطبة البارزة المنزوعة المائدة على مركب من السياجات، فهي محاطة بحلقتين دائريتين لا مركزيتين، أين نجد الغرفة الجنائزية في موضع مركزي مع السياج المستطيل

الضخم والحلقة الثانية ذات الصخور المتوسطة الحجم، وفي إعتقادي ما دامت الأرضية المحاطة بهذا المعلم بسيطة الإنحدار فقد دعمت بنصف حلقة دائرية من الجهة الجنوبية وهي جهة الإنحدار وذلك بصخور تقل حجما من صخور الحلقة المركزية. وهذا من أجل خلق فضاء مسطح يحفظ ويحمي المصطبة من التزحزح و الانهيار، و الأمر الملفت للإنتباه هنا أيضا و كما رأيناه في المصاطب ذات السياجات المربعة المتواجدة في كل من مواقع: سيلا، بووشن و رأس العين بومرزوق. والمتمثلة في كبر حجارة السياج المستطيل أين تقاس أطوال بعض حجارته بحوالي1،80 متر وهي مقاسات جد كبيرة و ضخمة اذا ما قارناها بطول الغرفة الجنائزية في هذا النمط و المقدرة ب:1،60 متر. فقد يعني هذا بأنه أجريت على المصطبة ثلاثة تدخلات، كان الغرض منها يتعلق بحمايتها و العمل على وحدتها الفيزيائية. فقد تكون هذه العناصر الخاصة مرتبطة بالوضع الاجتماعي للأشخاص المدفونون بداخلها.

اتجاه الغرفة الجنائزية موجه من الشرق جنوب شرق الى الغرب جنوب غرب.

15- المصاطب ذات الممرات الخارجية:

و نجدها في أماكن مسطحة تقريبا.

الأولى:عبارة عن مصطبة مندسة في الأرض، ما يظهر من ركائزها سوى صخرتين لنفس الواجهة التي يظهر من خلالها كيفية رصيهما و حجميهما دليل على أن الغرفة الجنائزية بنيت عن طريق عدة صخور، ليغطى الكل ببلاطة موجهة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي و هو إتجاه الغرفة الجنائزية.

يحيط بهذه المصطبة سياج دائري فريد يقدر قطره ب:8،40 مترو هو مشكل بحجارة لا تفوق 0،60 مترفي أكبر مقياس لها، وكالعديد من مصاطب جبل المراح. فبقايا الصخور الشبه مسطحة التي مازالت تعلوا الفضاء الموجود بين الحلقة الدائرية و المصطبة تبين بأنه كان لها تبليط شامل يشبه ظهر السلحفاة. من مميزات هذه المصطبة هو وجود ممر لا ينطبق محوره مع إتجاه الغرفة الجنائزية، فهو يلتصق بالحلقة الدائرية للمصطبة من جهتها الشمالية. حددت جوانبه بواسطة حجارة متوسطة الحجم، وهي تبين عرض الممر الذي يقدر ب:5،40 متر. أما طوله المقدر ب:6،00 متر فهو محدد من شمال الحلقة الدائرية للمصطبة التي تمنحه

شكلا مقوسا، وللحصول على نفس الإنسجام و التطابق، فقد عمد بناؤوا هذه المصطبة بمنح نفس التقويس لمدخل الممر الموازي للحلقة.

أجري تبليط لهذا الممر بواسطة حجارة صغيرة الحجم تغطي كامل فضائه. لست أدري ان كان هذا الممر يلعب دور العبور عليه للوصول الى الغرفة الجنائزية، كون هذه الأخيرة منفتحة على كل الجهات، فالحلقة الدائرية التي يحيط بها لا تشكل عائقا في الوصول الى حرمة القبر، ضف الى ذلك كما ذكرته سابقا، فإن محور الممر لا يوجد في نفس إتجاه الغرفة الجنائزية، فهل نحن أمام فضاء طقوسي ؟

أما الثانية: فهي بدورها تحتوي على ممر مستطيل يقدر طوله ب:6،80 متر وعرضه 5،00 متر، يلمس الحلقة الدائرية ذات الغرفة الجنائزية في جهتها الجنوبية الغربية بشكل يتعامد فيه محوره مع مركز الغرفة الجنائزية، مما يدل على رفعة الإتقان أثناء الإنجازلمثل هذا التجانس الذي قد تطلب استعمال بعض الوسائل الخاصة بالمقاسات. هذه الغرفة الجنائزية المنعدمة المائدة، نجدها مبنية بواسطة عدة صخور متوسطة الطول بالنسبة للجدارين الطويلين. وبصخرتين طويلتين في كلتا الجهتين الصغيرتين، يقدر طولها ب:3،80 متر وعرضها ب:1،70 متر وهي محاطة بحلقة دائرية متكونة في غالب الأحيان بواسطة تراس صفين من الحجارة، يقدر قطرها ب:10،50 متر والتي تعلو سطح الممر المذكور ب:0،70 متر.

يحتوي هذا المعلم الجنائزي على حلقة حجرية ثانية متلاصقة مع الحلقة الأولى من الجهة الشمالية الغربية، وهي متكونة من صف واحد من الحجارة ذات الحجم المشابه للحجارة المحددة للممر. قطره يقدر ب:10 متر، فهو يصغر الأول بحوالي 0،5 متر فقط و له 4/3 الدائرة بسبب إلتماسه بالحلقة الأولى.

لا تحتوي هذه الحلقة الثانية على أي شكل من أشكال الغرف الجنائزية بداخلها، فهو بالتأكيد يعد بمثابة فضاء عقائدي أو هيئ مبكرا لإستقبال غرفة جنائزية لم تنجز.

ومن الملفت للإنتباه في هذا المعلم الجنائزي وخاصة بما يتعلق بالغرفة الجنائزية والحلقة الأولى المحيطة به فهي تعد بمثابة بازينا من حيث شكلها العام والمتميز عموما بنفس طريقة بناء الغرفة الجنائزية أيضا.

فهذه العمارة المحلية ما هي الا بصمة أصيلة التي نجدها في جل العمائر الجنائزية الميغاليتية لمنطقتي البرمة و جبل الفرطاس و مختلف المقابر الأخرى.

16- المصاطب تحت التلال الجنائزية:

لقد استبعد السيد كامبس كل وجود لمصاطب تحت التلال الجنائزية، مانحا بذلك حجة منطقية بأن الأمطار والسيول لم تكن سببا في تعرية هذه المعالم الجنائزية من غطائها المتكون من عناصر ترابية، مستندا بذلك على بقاء التربة من فوق التلال الجنائزية الموجودة بقرب المصاطب في بعض المقابر. كان هذا الإستنتاج بمثابة رد على تصريحات الدكتور فوفال Fauvelle[1] الذي يرى في هذه المسألة بأن مصاطب الركنية كانت مغطاة بتلال جنائزية أتلفت مع مرور الزمن.

فاذا ما تمعننا جيدا مع المواقع التي تحتوي على مقابر جنائزية في منطقتي البرمة و جبل الفرطاس فهي أماكن متكونة من الجلمود الجيري الظاهر على مستوى السطح بنسبة 70% فالنسبة القليلة المتبقية فهي من نفس التكوين الجيولوجي إلا أنها مغطاة بطبقة جد رقيقة من التربة المنتشرة هنا و هناك، فربما هذا المنظر قد بقي على ما عليه منذ فترة بناء المعالم الجنائزية.

إلا أنني عثرت على نماذج قليلة من هذا النمط في مقبرة الركنية سنة 1986.

ففي سيقوس يصل قطر إحدى هذه المصاطب القليلة العدد الى 14م،لا يظهر منها سوى الشكل المخروط المتكون من تراكم صخور و حجارة ممزوجة بالتربة وتشكل في مجملها حلقة دائرية، الغرفة الجنائزية مندسة في الأرض و مايظهر منها سوى سطح المائدة من الجهة العلوية أما في بووشن، فبقي من هذا النمط سوى نموذجين إثنين يقعان بقرب أضخم مصطبة في المقبرة.

1 - Fauvelle dr, quelques considérations sur les dolmenes de Roknia. c.r.de la XIX session de l'afas, limoges 1890 pp 220, 221.

فما يظهر منهما حاليا سوى مائدتهما الجنائزية بحكم إندساسها داخل تلين جنائزيين معدومي الحلقات و متكونين من كمية معتبرة من الصخور و الحجارة غير المنحوتة و المعدلة في غياب كلي لعناصر التربة، هاذين التلين الذي يقدرمتوسط قطريهما بحوالي: 8،70 م
لهما شكل مخروطي مسطح في القمة بفعل المائدتين التي ترتفعان عن سطح الأرض ب:1،70 م.و 1.90 م

17- المصطبة ذات المشكاة و الذراعين :

لم أجد أثرا لهذا النمط من المعالم الجنائزية في جميع المقابر لمنطقتي البرمة و جبل الفرطاس و لا حتى في مقابر الشرق الجزائري عامة. فالعينة الوحيدة التي كانت متواجدة
في مقبرة سيلا،أجريت عليها تنقيبات من طرف فروبنيوس Frobenius سنة1914. هذا الباحث المعروف بحفرياته المعمقة في المعالم الجنائزية، والتي كان من خلالها يقوم بنبش كل شبر منها، دون إعادة بناء و استرجاع العناصر المعمارية المنزوعة خلال الحفرية، فقد جبت طوال مقبرة سيلا دون العثور على بقايا هذا النمط الذي نكتفي بوصفه حسب رسوم Frobenius [1] وتقريره المترجم من طرف السيدCamps.

فيرى كامبس بأنه لا يوجد سوى مثالين للمعالم ذات الأذرع في شمال افريقيا،إحداهما تل جنائزي عثر عليه في التاوز بتافيلالت بالمغرب الأقصى و الآخر(الذي نكتفي بدراسته) عبارة عن مصطبة مزدوجة الغرف الجنائزية و ذات الحلقة الأسطوانية وجدت بسيلا. خصائص هذا المعلم تكمن في وجود ذراعين أو قرنين ينطلقان من الجهة الجنوبية للحلقة الدائرية بشكل منفرج نحو الخارج و مكونتان زاوية حادة مع حلقة المصطبة. كان طول هاذين الذراعين يقدر ب:10متر،أين كانت مبنية عن طريق أربعة صفوف من الحجارة المربعة ذات الحجم الكبير و العلو المقدر ب:2متر أما عرضها يفوق المترين بقليل.

يحيط بالغرفتين الجنائزيتين حلقة دائرية أسطوانية، فضاءها الداخلي يظهر في الرسم و كأنه مبلط بحجارة تغطي كامل أرجائه. بداخل هذا الفضاء كانت توجد غرفتين جنائزيتن معدومتي المائدة، متمركزتان في وسط الحلقة الدائرية و تبتعدان عن بعضهما بحوالي 2 م، كانا يدخل

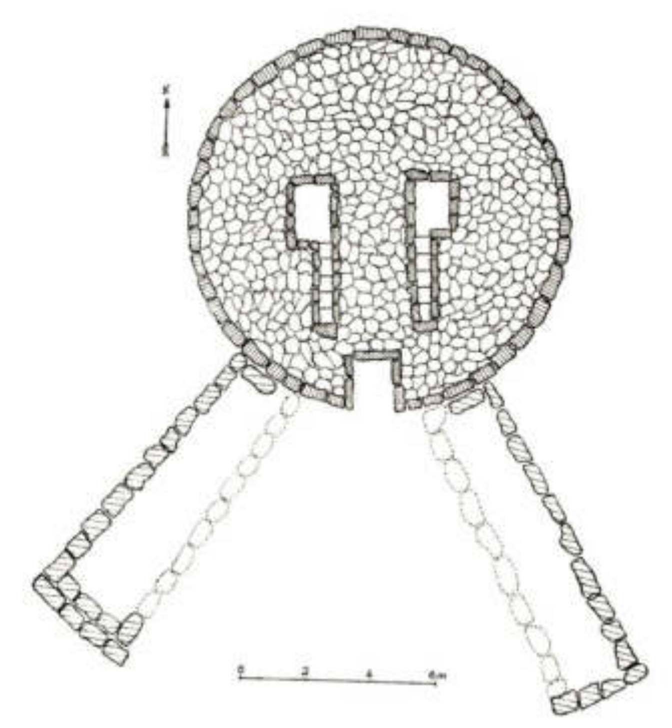
[1] - Camps g, aux origines de la berberie........P.179.

اليهما عن طريق ستة درجات.أما توجيهما فهو غير مألوف في المنطقة، حيث نجدهما موجهتان من الشمال الى الجنوب.

كان يوجد بهذا المعلم كوة متمركزة في الناحية الجنوبية للحلقة الأسطوانية فهي بذلك تتوسط محوري الغرفتين الجنائزيتين. فبحكم موقعها في هذا المكان، فإن الحلقة الدائرية لم يكتمل دورانها كليا، فهي تنقطع في الجهة الجنوبية لتفسح المجال لبناء جدران و مأخرة هذه الكوة أو المشكاة ذات الشكل الذي يقارب المخطط المستطيل، فمن الأكيد بأن دورها كان عقائديا. فهذا النوع من الأماكن و المشكل بهذه الطريقة، نجده في العديد من المزائر الحالية التي تكون في غالبية الأحيان ذات مخططات مقوسة أو مربعة، توضع بها مختلف الأواني الفخارية الطقوسية و تحرق بداخلها الشموع.

المصطبة ذات الذراعين على شكل حرف V، مصدرها إفريقي رغم محاولة كامبس التلميح بوجود معالم جنائزية مشابهة لها في كل من جزيرتي سردينيا و بريطانيا و حتى بفرنسا. إلا أنها و من الأكيد متأثرة بوجه كبير بالمعالم الجنائزية لمطقتي الطاسيلي و الهقار حيث ذكرت لأول مرة من طرف السيد Rabourdin [1] الذي عثر على عينات عديدة لتلال جنائزية ذات الأذرع على شكل حرفV

[1] - Rabourdin lt, les ages de pierre du Sahara central. Paris 1884.p 135



مخطط للمصطبة ذات المشكاة والذراعين. [1]

18- المصاطب ذات الأنصاب الحجرية

تعتبر الأنصاب الحجرية من المعالم القليلة في المقابر الميغاليتية في شمال إفريقيا، إلا أنها موجودة بكثرة في المناطق الصحراوية. تحيط بمختلف معالمها شبه ميغاليتية بطريقة فردية وأخرى جماعية مكثفة. فإن العديد إن لم نقل جل الباحثين يعتقدون بقدوم هذه الشواهد من الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط بعامل التبادلات التجارية و الإحتكاكات بين الشعوب المختلفة، فكيف وصلت اذن الى مناطقنا الصحراوية بحواجزها الطبيعية القاهرة و بعد مسافاتها.

فالتأثيرات الحضارية لهذه الأنصاب الحجرية التي يعد دورها بمثابة أولى الشواهد الجنائزية، قد تكون ذات الأصول المحلية وهذا لتطابقها مع الأطوال.وموضعها على هيئة القبور التي تكون دوما موضوعة مع سلسلة الحلقات الدائرية والسياجات المربعة.

رغم هذا الوجود المكثف للأنصاب الحجرية فان كامبس Camps يرى بأن البربر القدامى أولوا ظهورهم الى إفريقيا و إنفتحوا نحو البحر المتوسط (الشمال) بفضل الملاحة لكن احتفظوا

1- Camps G., 1961, Op. Cit. Fig.66. p.178.

بعاداتهم الطقوسية الإفريقية، فلهذا الأمر لم يقيموا أنصابا حجرية و لم ينحتوا تماثيل آلهة الموت. و يضيف بأنه، بعد الإنكسار الحاصل بين شمال افريقيا و المناطق الصحراوية بسبب الإضطرابات المناخية المتمثلة في الجفاف، استقبلت المناطق البربرية لشمال افريقيا التأثيرات النافعة من وراء البحر و المتمثلة في حلول الأنصاب الحجرية التي أخذ منها الشكل و ليس الروح [1].

فشخصيا أرى بأن موضع الأنصاب الحجرية على المقابر الجنائزية عندنا، لها بعدا جنائزيا محضا فهي بمثابة السلف لشواهد القبور الحقيقية المعروفة.

ففي أوربا نجد الأنصاب الحجرية منصوبة في مجموعات مصطفة حسب اتجاهات معينة و كأنها غابة من الحجارة، فعلى سبيل الذكر لا الحصر نجد بإحدى مواقع الكرنك Carnac بفرنسا على 1099 منهير مقابل مصطبة واحدة تبعدعنهم بقليل. وإن وجدت منفردة فهي أيضا تبعد عن مواقع المصاطب، و بتصفحنا لمختلف عمليات الجرد للمعالم المغاليثية بفرنسا و خاصة في مناطق لوت LOT، لم يوجد و لا نصب حجري في حرمة المصاطب[2].

أما في سيلا فكان يحيط بمعالمها أنصاب حجرية اندثرت ما بعد1906 مادام VEL قد شاهدها. ففي منطقتي البرمة و جبل الفرطاس و خاصة منها مقابر راس العين بومرزوق، بووشن وسيقوس. فالأنصاب الحجرية بها نجدها في الجهات الشرقية للأضرحة، فنادرا ما تكون متموضعة رفقة الحجارة المشكلة للحلقات الدائرية أو مختلف السياجات المربعة. فهي دوما تتمركز في خارجها و على حوافها الخارجية المباشرة.

هناك بعض المصاطب وخاصة في سيقوس و فهي تحتوي على نصبين حجريين يبتعدان عن بعضهما البعض ببعد متوسط لا يفوق الستة أمتار.

---

[1] - Camps g, op.cit., p.207.

[2]- Clottes j, inventaire des mégalithes de la France. 1[er] supplément à Gallia préhistoire CNRS. Paris 1977.

لقد إعتمد بناؤا هذه الأنصاب الحجرية بوضعها في الجهات الشرقية للمقابر رغم وجود العديد منها في منحدرات. فمن المنطقي وضع النصب الحجري في المناطق العليا للمنحدرات لتزيده الحلقة الدائرية استقرارا أكثرا، فالقدامى كانوا أدرى بالظواهر الطبيعية التي تؤثر على استقرار معالمهم الجنائزية، فرأينا كيف كانت تدعم حلقاتها تماشيا مع طبوغرافية مختلف المواقع. لكن عمدوا كما ذكرت بأن يضعوا الأنصاب الحجرية في جهة طلوع الشمس لا غير، فلهذا قد يلعب النصب الحجري المدبب الشكل أو النصف دائري عموما دورا آخرا، قد يكون عقائديا له علاقة وطيدة مع الشمس.

وأخرى ثنائية و قريبة فيما بينها ذات الشكل المتجانس و الموضوعة على نفس محاور الغرفة الجنائزية الموجهة نحو الشرق.

عادة ما تنصب هذه الصخور الطويلة في أماكن طبيعية جد صلبة و كأن سبب اختيار تموضع الأضرحة كان متبوعا للإختيار المسبق للمكان المناسب للأنصاب الحجرية، فكثير من الأحيان نجدها متمركزة بين الكسور الطبيعية للجلمود الصخري التي تغرس بداخلها هذه الأنصاب.

أما في المناطق ذات الطبقات الترابية المعتبرة فكانت تحفر على سطحها حفر عميقة وواسعة في نفس الوقت لتفسح المجال لإستقبال قاعدة النصب بسهولة قبل انتصابه، فبعد هذه العملية، يردم ماتبقى فارغا من الحفرة بواسطة الحجارة و التربة المنزوعة. هذه العملية ليست محكمة مع مرور الوقت، فبفعل عدم إنسجام الطبقات الأصلية للتربة و الردوم الموضوعة بعد عملية التنصيب، يخلق أجواء غير مستقرة أثناء انحناء النصب قليلا بفعل الرياح القوية و تبلل التربة المتواجدة في القاعدة، فلو كانت الحفر المنجزة لإستقبال الأنصاب في الوسط الترابي ضيقة، لصعبت عملية ترصيع النصب داخل الحفرة و لكانت جد محكمة إن شيدت بهذه الطريقة.

إن إرتفاع هذه الأنصاب الحجرية من فوق سطح الأرض تختلف من مصطبة لأخرى فأطولها في مقبرة سيقوس تتراوح ما بين 1،50م و 2،30 م أما في بووشن وراس العين بومرزوق فتتراوح مابين 0،95 م و 1،60 م.

أما عن اختيارها و طرق الحصول عليها، فقد كان الأمر مقصودا منذ البداية فهي ليست طبيعيا كليا، فقد عمد الإنسان على نحتها ولو جزئيا.



مصطبة ذات نصبين حجريين – سيقوس–(ت. الأستاذ)

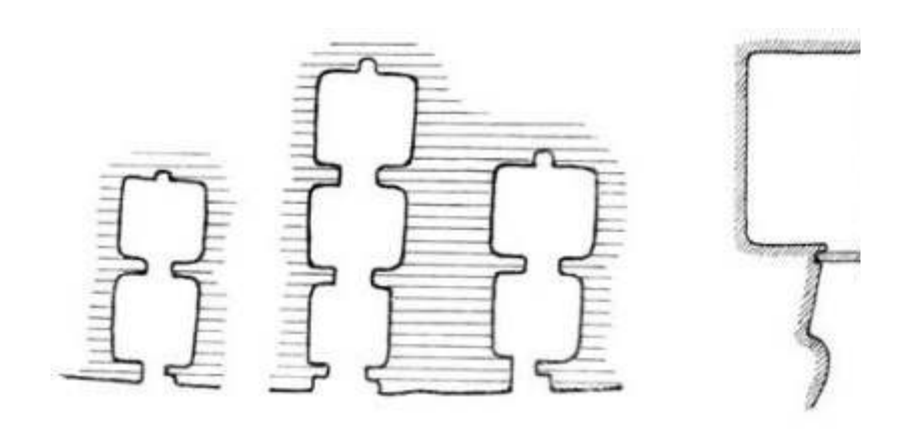
ففي إحدى مقالع المونس براس العين بومرزوق عثرت على إحدى الأنصاب الحجرية غير المستعملة و هو ملقى بقرب إحدى المحاجر العديدة، أين نجد بقايا النحت على إحدى جوانبه العلوية، و قد أراد نحاتوه الحصول على رأس مدبب لم ينجز كليا فبقى على حاله منذ تلك الفترة. كان علوه يقدر ب:2،10 م وعرضه ب:0،80 م أما سمكه فقدرب:0،50 م.

كما أن هناك العديد من هذه الأنصاب لم تنجز وبقيت في مقالعها التي سمحت لنا معرفة كيفية الحصول عليها، فكثيرا من الأحيان كانت تستغل بعض الحواف الطبيعية للجلمود الجيري لإستقطاب النحاتين لها، فكانوا يقيمون بالتوازي معها على نحت حزات عميقة بمقدار 8 سم و عريضة بنحو 10 سم و هذا لخلق خط ضعف يسمح بإنكسار الجلمود الجيري في المكان المحدد له مسبقا أثناء هزه ورفعه بواسطة قضبان حديدية، فنستنتج أيضا من خلال هذه العملية، بأن بنائي هذه المعالم الجنائزية كانت بحوزتهم مختلف الأدوات والعتاد الحديدية اللازمة للحصول على هذا النوع من المنتوجات

كما أن هناك بعض المصاطب القليلة العدد، و التي تحتوي على أنصاب حجرية فردية و حتى ثنائية، منتصبة رفقة الحجارة المشكلة للحلقة الدائرية. فهي بالتالي تلعب دور النصب الحجري، و عنصر من عناصر الحلقات الدائرية.

1.8 الحوانيت

مصطلح الحوانيت هو عبارة عن مغارات اصطناعية حفرت على واجهات الجرف أو المنحدرات الشديدة للجلاميد الصخرية وعلى الصخور الكبيرة المنعزلة بيد الإنسان وبأدوات معدنية وتعدّ بمثابة غرف صغيرة الحجم تحتوي على فتحات تطل على الخارج كانت تغلق بسدّادات محكمة أو بلاطات منزلقة تغلق من الخارج، وهي ذات غرض جنائزي لها عدّة أشكال وأنماط منها البسيطة والمزدوجة والمتعدّدة الغرف.



مخطّط لحوانيت بسيطة و مزدوجة و متعدّدة الغرف.

محفورة كليا تحت مستوى سطح الأرض. عثر حتى اليوم على نمطين أحدهما بسيط أو ذو



حانوت ذو ممر بالركنية (ت. الأستاذ)



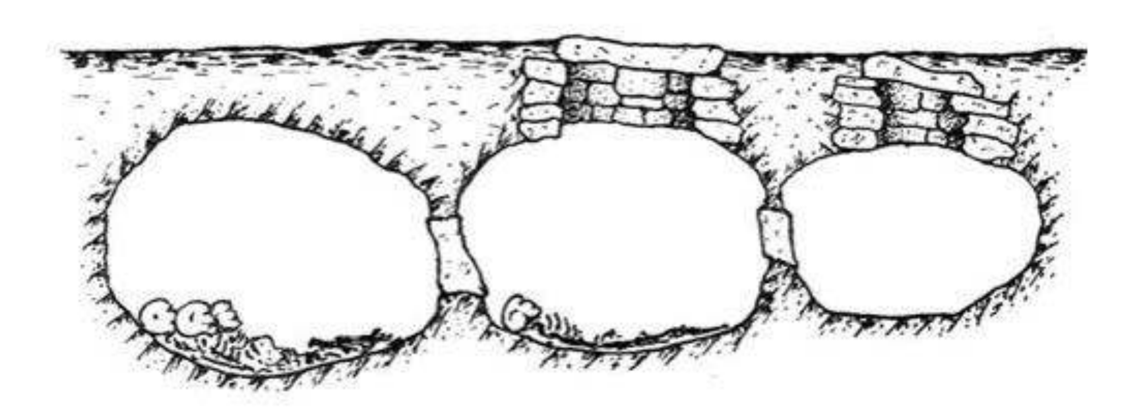
غرفة حانوت من الداخل (ت. الأستاذ)

1.9 المطامر:

وهي قبور متطابقة في الشكل والحجم مع مطامر تخزين المؤونة، وهي ذات مقاطع مقعّرة

مطمور فردي لا يفوق أرتفاعها و قطرها 1,30 م من أهم الأمثلة على ذلك ما عثر عليه في موقعي كليبار وأولاد ميمون بالغرب الجزائري

والأخر ذو غرف متعددة، وهي عبارة عن ثلاث غرف متصلة فيما بينها بفتحات صغيرة و تغلق ببلاطة صغيرة موضوعة أفقيا، كتلك التي عثر عليها بسيدي حمادوش بسيدي بلعباس وأخرى بشرشال وتنس. ويتّم الولوج إلى داخل هذه المطامر عبر فتحات أفقية ذات مخطّط دائري على مستوى سطح الأرض وتغلق من الخارج بواسطة سدّادات حجرية



مقطع لمدافن على شكل مطامر متعدّدة بسيدي حمادوش- سيدي بلعباس.

المدافن البونية:

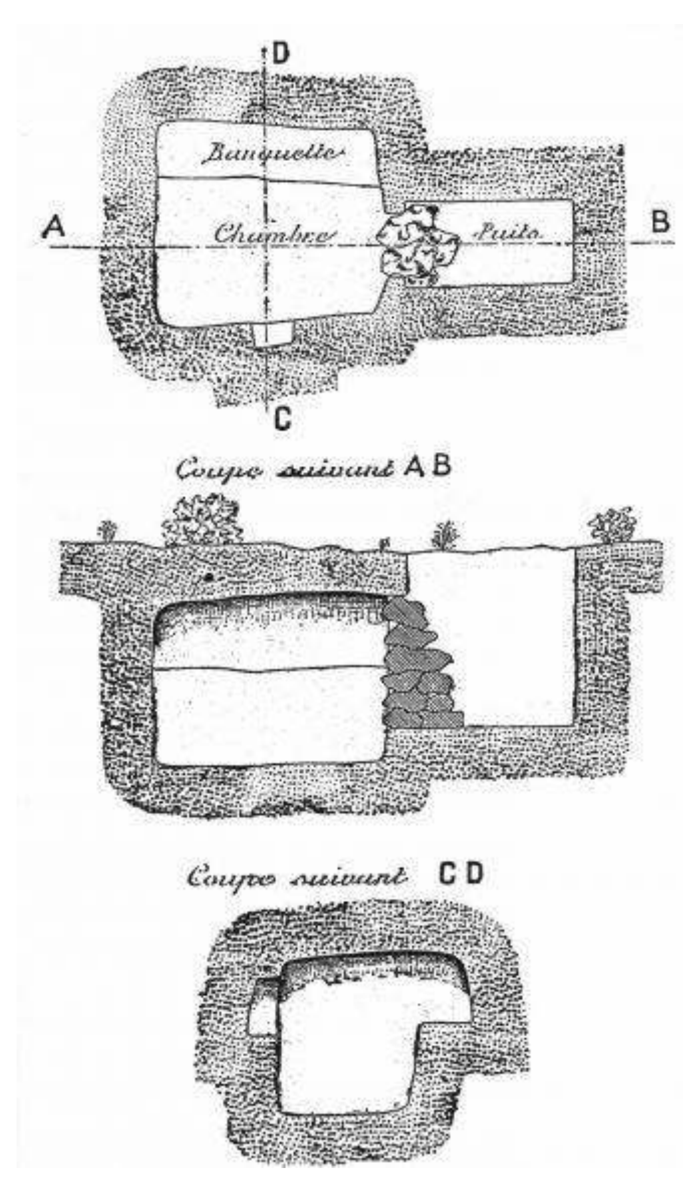
تنتشر هذه المدافن على طول الشريط الساحلي لشمال افريقيا والمناطق الداخلية ذات التأثير البوني، كانت محل العديد من الأبحاث والدراسات خاصة بالقطر التونسي،قالمة، جيجل، تيبازة، قوراية، رشقون....إلخ.

تتوزّع هذه المدافن حسب أهمية مساكنة موطن الساكنة، تكون في داخل مقابر حقيقية بالنسبة للحظائر الكبرى مثل قرطاجة وكركوان، وفي مجموعات محدودة في البلدات الصغيرة والقرى، وأخرى معزولة بالنسبة للسكنات الفردية المقيمة في الأرياف.

وقد قدّم الباحث التونسي عادل نجيم[1] ملخصا عاما عن أنماط المدافن البوني نستهلّه بما يلي:

أ- القبر الملحق ببئر: يقول عادل نجيم بأنّ هناك قبور ملحقة ببئر عمودي ذي أربعة أضلاع له عمق متفاوت من مكان إلى أخر، مثال في قرطاج يصل إلى 30 متر. وتوجد غرفة الدفن في القاع، تحتوي الجدران على حفر صغيرة للصعود والنزول، أحيانا توجد غرف دفن إضافية على واجهات البئر تكون عادة ذات مقطع مستطيل وذات مقاسات متناسبة مع طول الميت. لكن الغالب هي القبور الملحقة ببئر وذات غرفة دفن واحدة وقد بدأت تعرف منافسة تدريجية للأصناف ذات غرفتين مثال في مالطا وليبيا أو ذات ثلاثة غرف كما هو الحال في قرطاج وكالياري وأحيانا ذات أربع غرف مثال في قرطاج.

[1] د. عادل نجيم، المقابر الفينيقية والبونيقية في الحوض الغربي المتوسط. قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس – (الجمهورية التونسية)



قبر بوني من قوراية، مغلق بكومة من الحجارة تفصله عن حفرة (بئر) الدخول[1]

ب- القبور الملحقة بفناء: الفرق بين هذا الصنف وبين القبر الملحق ببئر يتمثل في طريقة الوصول للقبر التي تكون عمودية في القبور الملحقة ببئر ومائلة في القبور الملحقة بفناء. الدرجات تكون ذات ميلان متفاوت من قبر إلى آخر وتنتهي ببهو منبسط أمام الغرفة التي يوجد بها الميت. غالبا ما تتكون هذه القبور من غرفة واحدة مثل ما هو الحال في مونت سيراي، إجلجلي كما يمكن أن نجد غرفتين متقابلتين مثلا في سولكيس والمهدية أحيانا نجد غرفتين

---

[1] J.-P. Morel & G. Camps, Gunugu. Encyclopédie berbère. 21 - 1999

متصلتين مثلا في كولو. في الغالب تكون هذه الغرف أكثر اتساعا لكنها تحتوي على نفس مكونات غرف القبور الملحقة ببئر.



قبور بونية مسبوقة بفناء (صورة زاهر كمون)[1]

ج- القبر المفرد: بالنسبة لهذا الصنف يذكر عادل نجيم الحفر ذات التخطيط المستطيل والحجم المتناسب مع الجثة المدفونة أو البقايا المحروقة ونجد هذا النموذج في كل المواقع وكل الفترات. انطلاقا من القرن السادس قبل الميلاد ستظهر بعض التغيرات على هذا الصنف من القبور مثل الحفر ذات الحواشي أو الحفر ذات المطابق الجانبية أو الحفر المغطاة بمطابق في كل من ألوبيا، كالياري وتوسكانوس. كما ظهرت الحفر ذات التوابيت في قرطاج وليلتيبي وموتيا أو الحفر ذات دكة مثلما وجد في فيلاريكوس أو حضرموت.

ينتشر هذا النمط البسيط في سطح الأرض في الأماكن ذات التكوين الصخري الذي يكون عموما في وسط كلسي calacaire أو رملي grés.

[1] http://zaherkammoun.com/2018/01/10/la-tunisie-punique/



قبور بونية محورة في الصخر بطنجة

ويضيف بأنّه انطلاقا من منتصف القرن الرابع ق م عمليات دفن في جرار خاصة بالنسبة للصغار كما هو الحال في تيبازا وايبيزا وكركوان كما تنتمي الصنف الحفر الصغيرة السطحية التي تحتوي على رماد ويكون إما محفوظة في صناديق أو بدون صناديق كما هو الحال في سميرات وألبيا وفيلا ريكوس كذلك نجد الحفريات الدفن الجماعي وذات طقوس دفن مشتركة كما هو الحال في قرطاج. كذلك نجد حفريات دائرية رائجة في الفترة العتيقة في قرطاج و إبزا أو في فترات لاحقة إيريكس والأنلسية هذه الحفر تكون أحيانا مغطاة بحجارة وهي تحتوى على بقايا جثث محروقة موضوعة مباشرة على الأرض أو في صناديق.



II- الأثاث الجنائزي:

من أبرز الخاصيّات الأساسية لدراسة الأثاث المصطحب مع الموتى تكمن في تشغيلها في تحديد الإطار التأريخي للمعالم الجنائزية والمتواجدة بداخلها والمعاصرة لها في الكثير من الأحيان. فهي بمثابة إحدى العناصر الأساسية لتأريخ الطبقات والهيئات التي تتضمّنها. إلاّ أنّ في هذه الفترة المعروفة بـ "فجر التاريخ"، فإنّه يصعب علينا في الوقت الراهن حتى إقامة تأريخ شامل لأثاثها الجنائزي كالأواني الفخّارية الذي تكاد أوصافها وأنماطها وطريقة تشكيلها وحرقها لا تختلف عن تلك التي بقيت سائدة إلى يومنا هذا في بعض المناطق.

لقد استخرج من المعالم الجنائزية بشمال إفريقيا عددا قليلا من الأثاث الجنائزي الذي كان يرافق الموتى، وهذا ما بيّنته نتائج مختلف التنقيبات التي أجريت على هذه المقابر، أين وضع البعض منها في متحفي سيرتا والباردو والباقي أتلف وأهمل، حيث يقول Gautier بخصوص التحف التي عثر عليها فروبنيوس خلال حملته الواسعة على المعالم الجنائزية التي نقّب عليها، بأنّه كان يريد أخذها معه إلى ألمانيا إبّان الحرب العالمية الأولى، لكنّه أوقف في نزل فرنسا الذي كان موجودا في ساحة الشهداء بالجزائر العاصمة، فتمّ حجز كل ما عثر عليه من تحف[1] نجهل تواجدها اليوم. لكن اتّضح بأنّ هذا الباحث الألماني قام بعمل منهجي ودقيق بما يخص بالتنقيبات في حدّ ذاتها والرفع الأثري والرّسم الجدّي المنجز من طرف مختصّين كانوا ضمن بعثته العلمية، فالأمر الوحيد الذي يلام عليه هذا الباحث يكمن في عدم إعادة بناء القبور الذي قام بحفرها.

إنّ العدد المعتبر من الأثاث الجنائزي المتنوّع والمختلف الأحجام الذي عثر عليه يدلّ على جديّة أعماله مقارنة بالأبحاث الفرنسية التي أستعملت فيها المعاول في الحفر، والذي أنجرّ عنه فقدان العديد من الشواهد القيّمة كالحلي الصغيرة والقطع النقدية التي يصعب رؤيتها باستعمال هذا النوع من الوسائل، فجرد الأثاث المتنوّع والمعتبر الذي عثر عليه فروبينيوس على مقبرة سيلا لوحدها فضح من خلاله جل الأشغال التي قامت بها مختلف الفرق الفرنسية

---

[1]- Gautier E.F., Les premiers résultats de la mission Frobenius. Rev. Afr.1921, T.LXII, pp.47-61.

المتعاقبة في البحث حول المعالم الميغاليثية وشبه الميغاليثية، ونبيّن على سبيل الذكر الكم المعتبر من الأثاث الذي عثر عليه Chabassiere و Feraud والذين من خلال تقاريرهما للحفريات المجراة على المنطقة، كانا يذكران حالة الحفظ السيئة لبعض الفخريات المكتشفة والتي كانت منكسرة داخل الغرف الجنائزية، فلم يوليا لها إهتمام في ترميمها ولا حتى نقلها إلى المتحف، فمن الأكيد أنها تركت في عين المكان مادامت غائبة في مخازن المتحفين المذكورين.

1. الأواني الفخّارية:

1.1. دراسة العجينة :

تتشابه الأواني الفخارية المستخرجة عقب التنقيبات على المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية بشمال إفريقيا من حيث اختيار العجينة وتقنية الصنع والحرق والشكل. فحسب الدراسة التحليلية المعتمدة على الملاحظات البصرية التي قمت بها على مختلف الأواني الفخارية التي كانت معروضة ومخزنة في متحف سيرتا والباردو، يتضح من نوعية عجينتها أن مشكلّيها لم يحضروا العجينة كما هو معروف ومتداول به في صناعة الأواني الرفيعة، أقصد حسن اختيار مواطن الطين الجيد الذي يطحن الى أن يصير غبارا ثم يغربل كي تنزع منه كل الشوائب والحبيبات الحجرية ثم تغسل لنزع كل ما تبقى من الغبار ذو الأصول العضوي (كغبار الأعشاب والحشائش الجافة). وأخيرا يبلّل ويترك لعدّة أيّام قبل تشكيله، بل تعين لنا بأن العجينة التي أختيرت للتشكيل هي من طين محلي قد استخرج من محيط المقابر مباشرة بما تكتسيه هذه المناطق المدروسة من تكوينات رسوبية جيرية يرجع تأريخ معظمها إلى حقبة crétacé، وما تبقّى متكوّن من قشور جيرية ذات اللون الأبيض المائل للوردي، والبيضاء تماما. تتخلل طبقاتها القشرية مستويات من الطين الصلب الذي يطغى عليه اللون الأبيض والذي يعرف محليا بالبياض. كانت النسوة في زمن غير بعيد تستغله كمحجر لاستخراج الطين منه، فيحتمل أن تكون عجينة الفخاريات القديمة، قد أستخرجت من نفس هذه الطبقات. التي نجدها غير متجانسة التركيبة عموما، فهي تحتوي على حبيبات حجرية يصل سمكها الى غاية 7 مم، مما يدل على عدم غربلتها وتنظيفها. فهذا لا يعني بأن كل الفخاريات المتداولة آنذاك كانت بهذه الصفة، فقد يكون السبب هنا منحصرا على الفخاريات الجنائزية فقط التي قد

تشكل في عجالة لوضعها في القبور مع الأموات الذين قد يجردون من لحمهم (حسب المعتقد المزعوم). هذه العملية التي تتطلّب أياما معدودات للتعفن الكلّي للجثّة، كافية نسبيا لأهل الميت لصناعة فخاريات له يصطحبها معه في حياته الأخرى، فربّما لهذا الأمر قد نجد أواني منزلية رفيعة نوعا ما كانت مستعملة في الحياة اليومية، مصحوبة مع الأموات ذوي الدفن الأوّلي والأخير، أين تدفن الجثة مباشرة ونهائيا بعد الموت.

لم يتضح لي بأن العجينة كانت تطرق أو تضغط قبل التشكيل، فبعض الفراغات الصغيرة وبصمات فقاعات الهواء المحصورة داخل العجينة، قد تبين بأن تشكيل الأواني كان مباشرا.

1.2 المثبت:

حسب ما ورد في دراسة العجينة فإن العديد من الأواني تحتوي على مثبت امتزج مع العجينة عن غير قصد، قد يكون عالقا في التربة الصلصالية المختارة والتي لم تغربل وتغسل مسبقا، إلاّ أنّ مشكّلي هذه الفخاريات كانوا يضيفون بعض من المثبتات المعدنية لعجائنهم والمتمثلة عموما في حبيبات الجير التي كانت تستخرج من القشور الجيرية الطبيعية وتطحن إلى أن تتفتّت، فقد لاحظنا العديد من هذه الحبيبات عبر الشقق والأواني المنكسرة وهي ذات سمك لا يفوق 2مم، بالإضافة إلى حبيبات الكوارتزيت، هذه المادة التي تكاد تكون منعدمة في هذه المنطقة المشكلة من التكوينات الجيرية خصوصا، ربما هذا الوجود لإستعمال حبيبات الكوارتزيت كمثبت للأواني الفخارية يفسّر بأنّ القدامى كانوا يعرفون جيدا دور استعمال المثبت في العجينة، فكانوا يبحثون على النوعية الجيدة ممّا أدى بهم، حسب ما نعتقد للبحث عليها ليس في مواطن الحجر الرملي فحسب بل على ضفاف الأودية والشعاب التي ترسّب مياهها ما تبقّى من مكوّنات الصخور الرملية المنجرفة. فحجم الترسبات الرملية بأنواعها تتوفر على هذه الضفاف بكثرة وبمختلف الأحجام، من الدقيقة جدا إلى الحصوية.

وكما هو معروف فإنّ حسن إختيار العجينة والمثبّت يؤديا بتشكيل أواني متجانسة التركيب، ولولا هذه المادة (المثبت) لاستحال تشكيل الأواني من العجائن المطاطية، وكما يدلّ إسمها فهذه العناصر المعدنية تمتص الدهون أو العناصر المطاطية المتواجدة في العجينة.

فباختلاطها معها تزيدها قوة وثبات ليس أثناء التشكيل فقط، بل حتى أوقات التجفيف والحرق أيضا.

لم نلاحظ أي شكل من أشكال المثبّتات العضوية الذي قد نجده في بعض الفخاريات يتمثّل في بقايا قواقع الحلزون ولا حتى المثبّت المعروف عندنا حاليا والمتمثّل في مادة التقّون.

3.1. تشكيل الأواني الفخارية :

لقد اختلفت التقنيات الخاصة بتشكيل فخاريات المقابر المدروسة، فالجزء المتعلق بنتائج حفريات كل من Feraud وThomas , Vel , Pallary ، فيغلب عليها التشكيل اليدوي إلاّ بنسبة قليلة جدا فهي مشكلة بالدولاب، علما بأنّ عدد الفخاريات المستخرجة خلال حفريات هؤلاء الباحثين قدّرت بنحو 45 آنية، وهذا ما أحصيناه من خلال تقاريرهم الوصفية لعمليات التنقيب التي استخدمت فيها وسائل حفر غير مناسبة تماما تتمثّل في إستعمال الفؤوس والمعاول في ظرف وجيز، ذكر هذا في تقرير السيدان: Feraud وChristy. فبهذه التقنية في الحفر إن صح التعبير فإنه ومن الأكيد أن العديد من الهياكل العظمية والأواني الفخارية، قد ذهبت هباءا منثورا. يبقى عدد فخاريات موقع سيلا وحده الذي استخرجت منه أعداد معتبرة من الفخاريات والتي قدرت ب: 187 آنية، منها 136 بقيت محفوظة إلى يومنا هذا في كل من متحفي سيرتا والباردو، وهي من منتوج تنقيب السيد Logeart، فمن بين هذه المجموعة الأخيرة نجد حوالي 13% منها مصنوعة بالدولاب، وكانت ممزوجة مع باقي الأواني الأخرى و المشكلة باليد داخل نفس الدواميس والتلال الجنائزية والمصاطب.

من الملاحظ حسب هذه المقادير، أنّ النسبة العالية للفخاريات، فهي مشكلة عن طريق اليد بطريقة القولبة، وهذا ما يظهر جليا على الشكل العام للأواني فهي ثخنة وسميكة وغير متجانسة التركيب في أغلبية الأحيان، تشبه جل الأواني الفخارية التي عثر عليها بداخل المقابر الجنائزية لشمال إفريقيا وكذا الفخاريات التي مازالت تستعمل إلى يومنا، هذا ما ذهب إليه العديد من الباحثين، حيث يرى Gsell[1] بأن فخاريات المصاطب كانت بمثابة أصول الأواني

[1]-Gsell S., HAAN, T.VI.p 69.

المقولبة حديثا. أما Gobert [1] فيرى بأن هناك علاقة وطيدة بين الأشكال القديمة والحديثة في فخاريات تونس. أما Cintas[2] فيرى أيضا بأن الفخاريات المشكلة حاليا تظهر وكأنّها ترجع للفترة البونية.

فمن الأكيد، بأن تبقى نفس الأشكال سارية عبر العصور، وهذا راجع للطبيعة المحافظة لسكان شمال إفريقيا عامة، الذين تشبّتوا بنمط معيشتهم بما فيها بعض الطقوس ونوعية الأكلات التي مازالت سائدة إلى يومنا هذا، والتي تسمح باستعمال لنفس الأواني.

1.4 الحرق:

حسب ما هو متداول حاليا بالنسبة لحرق الأواني الفخارية بعد عمليات التجفيف، فمن الأكيد أن أشكال الأفران المستعملة لدى القدامى، لم تختلف على التي نجدها اليوم في بعض المناطق الداخلية، فقد وقفت شخصيا على إجراء بعض العمليات الكاملة لتشكيل الفخار المقولب و حرقه بالطرق التقليدية، فأعطتنا هذه التجارب نفس النتائج للفخاريات المعثور عليها داخل المعالم الجنائزية. من حيث اللون، فمن الأكيد أن الأفران المستعملة كانت بها تهوية كافية للحصول على فخاريات مؤكسدة، فقد تكون عبارة عن حفر يوضع بداخلها عدد من الأخشاب التي توضع من فوقها وعلى أطرافها الفخاريات المجففة المراد حرقها ثم يغطى الكل بطبقة من البقايا العضوية لمخلفات الحيوانات والتي تعرف حاليا بـ"الوقيد".

وأثناء عمليات الحرق تتفاعل العناصر الثلاثة، آلا وهي الحرارة والأكسجين الموجود داخل الأفران المهوّية وجزيئات الماء التي تبقى عالقة في الآنية رغم التجفيف، هذا التفاعل يكسي الآنية اللون الأحمر بعد الإنتهاء من عملية الحرق، وقد يميل هذا اللون للإصفرار أو البنّي الفاتح وهذا راجع إلى نسبة أكسيد الحديد المتواجد في العجينة.

وعموما فان عملية الحرق ضرورية جدا وهذا لاستخراج ما تبقّى من رطوبة داخل الأواني بعد التجفيف، فهذه الرطوبة لا تستخرج إلاّ بحرارة تفوق 900 مئوية. إلاّ أننا لاحظنا على بعض الأواني المنكسرة إختلاف في اللون لنفس القطع، حبث نجد في نفس الشقفة أو الآنية

---

[1]-Gobert E.G., Les poteries modelées du paysan tunisien. Rev. Tunis.1940. p.189.

[2]-Cintas p., céramique punique.paris.1950. p.449.

المكسورة وجود لونين محمرّين على الجوانب الداخلية والخارجية للقطعة ويكون ما يتوسّطهما ذو لون رمادي، فهذه الظاهرة نتحصّل عليها عندما يكون الحرق غير كافي، أي لم يعط الوقت اللازم لتأكسد وطهي الآنية على كل سمكها.

فهذه النوعية الرديئة لعمليات حرق الأواني، قد تبرهن عن عدم استعمالها في حياة القدامى اليومية.

1.5. تنميط و ترتيب الأواني الفخارية :

قام ج. كامبس بدراسة ترتيبية وتنميطية في مجمعه المتعلّق بالفخاريات المقولبة المستخرجة من المعالم الجنائزية لفجر التاريخ بشمال إفريقيا، حيث صنّف الفخاريات المقولبة المعثور عليها بداخل المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية إلى :

أ- الفخاريات الصغيرة: وهي ذات الوظائف الجنائزية النذرية وتشمل كل من القصاع الصغيرة و الطاسات.

ب- الأواني المنعدمة الملحقات: وهي ذات الوظائف الجنائزية و الطقوسية، و تشمل الأواني المحدّبة الجوانب، ذات الكتف، القوقعية، القداح، الكؤوس، الجفان والصحون.

ج- الأواني ذات الملحقات: وهي ذات الوظائف النفعية أو المنزلية، وتشمل كل من الفناجين، القداح ذات المقبض، الأوعية ذات المقبض، الأباريق، الأواني ذات المنقار، المصفاة، المصابيح والجرار.

أ- الفخاريات الصغيرة:

و تشمل كل من القصاع والطيسان.

1- القصاع الصغيرة Ecuelles : النمط(أ)، وهي عبارة عن أصغر الأواني الفخارية المعثور عليها داخل المقابر، نجدها مسطحة حيث لا يتجاوز ارتفاعها 15 سم، تم تشكيلها بطريقة القولبة، فهي ذات قاعدة مسطحة، جوانبها متكونة من شريط أو شريطين من العجينة.



- الطيسان Godets : النمط(أ)، تشبه القصاع الصغيرة، إلا أن ارتفاعها يكون أعلى بقليل عن قطرها، هذا النمط له شكل مخروطي أي ان قطر قاعدته أصغر من قطر حافته، مما يؤدي بإنحناء جوانبه.



أما النمط(ب)، فله جسم أسطواني وأحيانا تكون جوانب الطاس Godet تحتوي على مقبض ممدود، يعتقد كامبس بأن وظيفة هذه الطيسان تكمن في إستعمالها لحرق العطور.



بالنسبة للنمط (ج)، فهو يحتوي على قدم مشكل في الصفيحة العجينة للقاعدة نفسها.



ب- الأواني المنعدمة الملحقات :

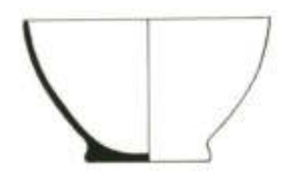
-1 الأواني المحدبة الجوانب vases galbés: النمط (أ)، وهي عبارة عن كؤوس كبيرة ذات الشكل الشبه مخروطي النمط البسيط،لا يحتوي على قدم واضح، يكون علوها يفوق 10 سم.



أما النمط(ب)، فيحتوي على فوهة ضيقة وعمق واسع، شكله العام يكاد أن يكون كروي.



بالنسبة للنمط (ج)، له شكل مخروطي تكون فوهته أوسع بكثير من النمط (أ) و يعرف قدم واضح على قاعدته.



2- الأواني ذات الكتف vases carénés : النمط (أ)، وهي عبارة عن أواني يفوق علوها 10 سم، جوانبها تحتوي على تغيير في المسار مكونة شبه كتف مشكلا زاوية، يكون أكبر قطر فيها



موجود على مستوى هذا الكتف و ليس على الفوهة.

أما النمط (ب)، فحوافه تميل نحو الخارج مشكلة عنق يقع مابين الكتف والفوهة.



النمط (ج)، فهو يشبه النمط (ب) إلا أنه يحتوي على قدم واضح في القاعدة.



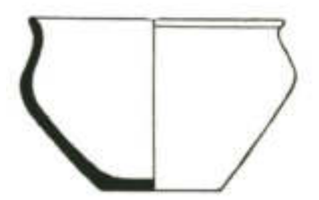
3- الأواني على شكل حرف S: (النمط أ)، وهو أكثر الأنواع تعدادا في مقابر المنطقة المدروسة، جوانبه مشكلة على شكل حرف S، وتمتاز بالغياب الكلي للكتف، جوانبه تكون محدبة في الجهة السفلية و مقعرة من الجهة العلوية، لا يفوق علوها 10 سم.



أما النمط (ب)، فهو كسابقه إلا أن ارتفاعه يكون أعلى ويفوق قطر الفوهة.



فالنمط (ج)، يشبه النمط السالف الذكر، إلا أن فوهته أوسع وارتفاعه أقل من النمط (ب).



اما بالنسبة للنمط (د)، فإنه يشبه النمط (ب) الاّ أنّ ارتفاعه أطول ويحتوي على عنق واضح وفوهة صغيرة.



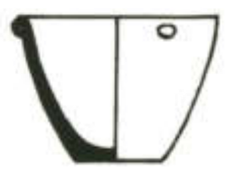
4-الأواني البيضوية vases coquetiers : وهي أواني لها جوانب على شكل حرف S الاّ أنها كروية البنية، حيث يتساوى ارتفاعها مع مقطعها العرضي.



5-القداح Gobelets : النمط (أ)، وهي عبارة عن فخاريات صغيرة لها شكل مخروطي، يتراوح علوها مابين 6 الى 16 سم، أما قطر فوهتها فيقدر ما بين 5، 11 سم، لها شكل مخروطي عميق، وتحتوي على وسائل القبض.



أما النمط (ب)، فيشبه النمط السابق إلا أنه يحتوي على وسائل قبض متمثلة في الحلمات.



- الكؤوس bols

النمط أ: وهي عبارة عن أواني نفعية، ذات شكل مخروطي، قطر فوهتها أوسع بكثير عن



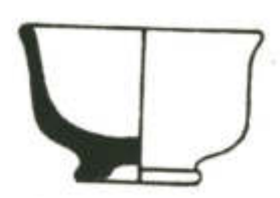
إرتفاعها.

النمط ب: وهي أكثر عمقا عن النمط (أ)، جوانبها محدبة نوعا ما، علوها يزيد بكثير عن نصف



قطرها ولا تفوق 10 سم ارتفاعا.

النمط ج : يشبه النمط السالف الذكر إلاّ أنه يحتوي على قدم به اختناق يفصل القاعدة عن باقي الآنية.



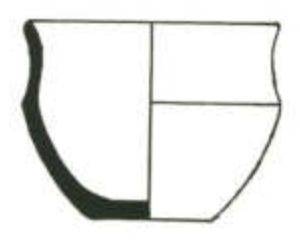
7- الجفان العميقة Jattes

النمط أ: وهي عبارة عن كؤوس عميقة، تحتوي على كتف، جوانبها مستقيمة وعلوها لا يفوق



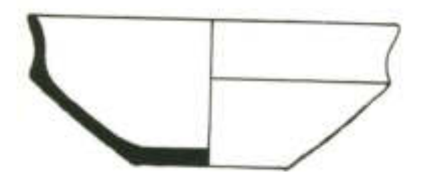
10 سم.

النمط ب: لها نفس المواصفات مع النمط السالف الذكر، إلاّ أن جوانبها تحتوي على جوانب



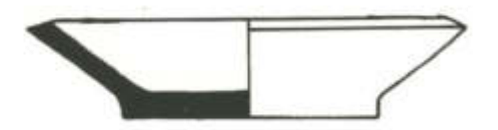
محدبة ومقعرة يفصلها الكتف.

النمط ج : وهي جد مسطحة ولها حواف منفرجة، علوها يقدر بنصف القطر الإجمالي.



8- الصحون Assiettes

النمط أ : وهي أواني مسطحة حيث نجد ارتفاعها دوما أقل من 1/3 ثلث القطر الكلي، وبالتالي تشبه في الشكل القصاع الصغيرة إلا أن قطرها يفوق 15 سم.



ج- الأواني ذات الملحقات :

1- الفناجين :

وهي عبارة عن كؤوس صغيرة، تحتوي على مقابض ممدودة، وجد بسيطة تنعدم فيها العنق.



2- القداح ذات المقابض Gobelets

ولها نفس المواصفات مع القداح العادية إلاّ أنها تحتوي على مقابض حقيقية.



3- الأوعية ذات المقابض pot à anse

النمط أ: وهي أواني صغيرة ذات جوانب محدبة ومنعدمة العنق. تحتوي على مقابض حقيقية



واقعة في النصف العلوي لجسم الآنية.

النمط ب: تشبه النمط السالف الذكر إلاّ أنّها تحتوي في جوانبها على كتف.





النمط ج : وهي أيضا تشبه النمط (أ) إلاّ أنها تحتوي على عنق ضعيف.

4- الأباريق Cruches

النمطأ: وهي أوعية، تحتوي على مقبض حقيقي، ينطلق من فوهة الوعاء وينتهي بأعلى جسمه، يكون علوها أطول من عرضها.



5- الأواني ذات المنقار الأنبوبي :

النمط أ: وهي عبارة عن أواني تشبه الفناجين، لكنها تحتوي على منقار أنبوبي يوجد في الجهة المقابلة للمقبض.



النمط ب: يشبه النمط السالف الذكر إلا أنه توجد به حلمات في مكان المقبض.



6- الأنية ذات المصفاة :

وهي آنية تحتوي على مصفاة أفقية موجودة على إحدى الحافات المطوية جزئيا. مقبضها يعلو الآنية، على امتداد كل قطرها، له شكل مقوس. عثر على هذا النمط في نموذج فريد بمصاطب سيلا.



2.0 الأثاث الجنائزي المعدني

أشار كامبس أن الأدوات المعدنية التي تمّ العثور عليها في مدافن فجر التاريخ، غالبا ما تكون أحدث ولا تنتسب إلى عصر البرونز[1]. وهذا ما توضّحه الأشكال والعيّنات التي قمنا بدراستها في الفقرة الخاصّة بالعملة والميغاليثية والتي سوف نثريها فيما يلي بعناصر من الحليّ والأدوات المتنوّعة التي تعود بدون أدنى شك للفترات القديمةAntiquité.

وبخصوص طبيعة المادّة المستعملة في صناعة الحليّ والأثاث المعدني يشير قزال بناءا على ما ورد من سترابون Strabon إلى حبّ الموريين للحلي الذهبية. ولا تضمّ المدافن الأهلية ذهبا كما أنّ الفضّة فيها بالغة في القلّة، الأمر الذي يمكن تفسيره بـ:

- إمّا بفقر الموتى.
- إمّا بطبيعة الإقتصاد عند الأحياء.

[1]Camps G., 1961 Op. Cit., P.421.

- إمّا حبّا في عدم إغراء السارقين.

فالحلي التي نجمعها فهي من الحديد أو النحاس أو البرونز، والتحاليل القليلة التي أجريت عليها أوضحت فعلا أنّها تارة من النحاس الخالص تقريبا، وتارة من البرونز الذي هو خليط من النحاس والقصدير[1].

ويضيف قزال عن أهم ما يميّز أنواع الحلي العادية التي مكّنتنا منها المدافن المؤرّخة بالقرون الأخيرة قبل الميلاد والقرون الأولى بعده، فهي تتكوّن من الأساور، الخلاخل، الخواتم، القراط والقلادات.

فالأساور والخلاخل تكون قصباتها إمّا أسطوانية وإمّا مسطّحة تكوّن دائرة كاملة أي أنّ طرفي القصبة المثنيّة يتّصلان ملتحمتين أو تتكوّن منها في الغالب دوائر مفتوحة، وغالبا ما يطول الطرفان ويمتدّان إلى حدّ ما خارج الدائرة ويسايرانها ويعرف هذا الشكل بجالب الحظ[2].وتضيف الباحثة خ. عيّاتي بأنّ هناك أساور مفتوحة بها نهايات تشبه رأس ثعبان، ذات أجسام متجانسة تحمل نهايات عريضة ومسطّحة وذات أشكال بيضويّة تشبه تماما رأس ثعبان حقيقي، لاسيما عندما تتزيّن هذه الأشكال بحلقات صغيرة تعلو المسطّح البيضوي والتي تذكّرنا كثيرا بعيون الزّاحف، كما نجد في بعض الأحيان خطوط أسفل المسطّح منقوشة بواسطة إزميل ترمز كذلك عن فمه أو منخره. وبالرغم من قلّة هذه الأساور إلاّ أنّها وجدت ضمن الأثاث المعدني لمقابر بني مسّوس، بووشّن وبوغار بأشكالها الحقيقية التي تشبه إلى حدّ كبير رأس ثعبان، كما نجدها أحيانا في أشكال متطوّرة محوّرة على هيئة أشكال مستطيلة مسطّحة ذات إختناق يحمل بعضها حلقات أو أشكال صليبية ترسم على هذه النهايات وهي تمثّل عيون هذا الزاحف، ونجد على ظهر السّاق خطوط منكسرة متتالية تذكّرنا هي الأخرى بحراشف جسم الزاحف كما هي عليه في أساور مقابر كليبار وبونوّارة وغيرها[3].

---

[1] Gsell S., HAAN., T.V, P.34.

[2] Gsell S., HAAN., T.V, P.35.

[3] عياتي خوخة، التعدين القديم في شمال الجزائر. دراسة الأثاث المعدني المحفوظ في متحفي سيرتا والباردو. رسالة ماجستير في علم الآثار، جامعة الجزائر،2002. ص. 159.

وتضيف الباحثة خ. عيّاتي بأنّ الحلقات وأقراط الأذن تأتي أهمّيتها في الأثاث المعدني بعد الأساور، وهي ذات أشكال متنوّعة أبسطها الحلقات المفتوحة الدائرية والبيضوية والتي تحمل نهاية حادّة تسمح بإختراق شحمة الأذن، هذه المجموعة سهلة التعرّف عليها. وهناك حلقات أخرى، لا تدلّ مباشرة على أنّها أقراط لكن يمكن تمييزها كذلك من خلال المقاييس إذ نجدها أقلّ حجما من أن تستعمل كأساور وأكبر حجما من أن تكون خواتم، ومن ثمّة يمكننا تصنيفها ضمن الأقراط.

وغالبا ما عثر خلال حفريات القرن الماضي في مقابر شمال إفريقيا المختلفة على أدوات معدنية قليلة العدد، ويرجع ربّما هذا الفقر إلى استعمال وسائل ثقيلة غير مطابقة تماما لأشغال التنقيب داخل القبور كالمعاول والمسّاحات التي بشأنها إتلاف وعدم ملاحظة المكتشفات الصغيرة الحجم. وتكوّن الحلي والأسلحة الجزء الأكثر أهمية من المرفقات الجنائزية بعد الأواني والمستلزمات الفخارية، ولا نجد عدد هام من الأسلحة داخل المدافن كونها تعدّ بمثابة وسيلة ضرورية لا يستغنى عنها لدى الأحياء ولذا فهم يحتفظون بها ولا يضعونها ضمن مرفقات الميّت. ونذكر منها ما يلي:

2.1 الحلي : إن الحلي المعدنية الذي يعثر عليه في المقابر برفقة البقايا العظمية مكونة أساسا من الأساور وحلقات الأرجل، الأقراط،، الخواتم، الأبازيم، الذؤبات، الأسلاك المعدنية، و المسامير وغيرها.

2.1.1 الأساور و حلقات الأرجل: تعد من بين الأدوات الواسعة الاستعمال عند شعوب فجر التاريخ، و تعتبر مقبرة بني مسوس من بين لتعدد و تنوع هذه المقابر التي زودتنا بالقسط الأكثر أهمية، ولا يمكننا التمييز بسهولة بين أساور الذراع و حلقات الأرجل، و مع ذلك يمكننا على الأقل تصنيفها إلى مجموعتين كبيرتين :الأساور المغلقة، و الأساور المفتوحة:

أ- الأساور المغلقة: هي نادرة جدا في مقابر فجر التاريخ بشمال إفريقيا، إذ أن بعض المناطق الأثرية لا تمدنا بأي نموذج من هذا النوع، و إن وجدت فإنها قليلة على غرار ما عثر عليه بسيلا و هي في حالة حفظ جيّدة، وجدت على إحدى الهياكل العظمية على

مستوى الساقين حيث وضعت 5 حلقات لكل ساق، سمك كل سوار يقدّر بـ 1,5 سم , قطرها الداخلي 7,5 سم أمّا وزن كل حلقة فهو بـ 290 غ.



عظام الساقين وحلقات الأرجل لسرداب بسيلا. (تصوير الأستاذ 1989)

كما عثر في بووشّن على سوارين من البرونز في غاية الجمال، السوار الأول يحمل في مركز جسمه ثلاث إنتفاخات، انتفاخين جانبين كبيرين وانتفاخ مركزي أصغر ويحتوي جسم السوار على نهايتين متقاربتين، مسطحتين، بيضاويتي الشكل، شبيهة برأس ثعبان لها نقطتين تمثلان الأعين، تليها حزة طولية.

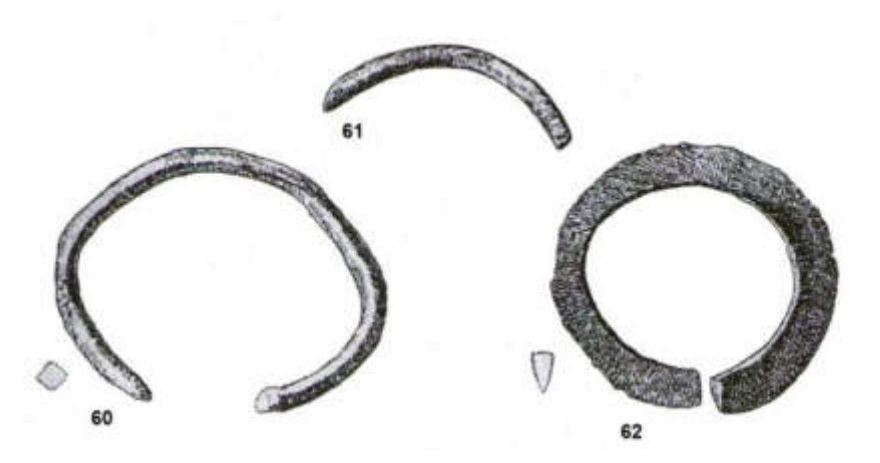
أمّا السوار الثاني فهو عبارة عن حلقة تقريبا، متساوية السمك إلّا في النهايتين اللتين تشبهان سابقتيهما، فهي مسطحتين، بيضاويتين ومتداخلتين تشبهان رأس ثعبان،ومصنوعتين من مادة البرونز أمّا مكان تواجدها حاليا فهو غير معروف.



سوارين من البرونز بنهايات رؤوس ثعابين.

ب -الأساور المفتوحة: تعتبر الأكثر عددا من غيرها وهي كذلك كالأولى عامة، تختلف هذه الأساور فيما بينها من خلال شكل الساق و سمكه بالإضافة إلى النهايات التي تأخذ أشكالا متنوعة و هي كالتالي: -الأساور المفتوحة بنهايات منتفخة أو بمقطع مستطيل تكون

نهاياتها منتفخة و متقاربة مع بعضها دون أن تلتحم مما يسمح بفتحها و توسيعها ببعض المليمترات و يسهل بذ لك لبسها، و يكون عامة جسم هذه الأساور منتفخا و ممتلئا في المركز ليتناقص سمكه تدريجيا، تم يعود لينتفخ في نهايات هذا السوار، ليعطي أشكالا بلورية أحيانا و أسطوانية أحيانا أخرى



2.1.2 الأساور المفتوحة بنهايات تشبه رأس ثعبان : هذه الأساور المفتوحة لهاأجسام متجانسة ومسّطحة وبيضاوية الشكل، تشبه تماما رأس ثعبان حقيقي، لاسيما عندما تتزين،تحمل نهايات عريضة هذه الأشكال بحلقات صغيرة تعلو المسطّحالبيضوي و التي تذّكرنا كثيرا بعيون الزاحف، كما نجد في بعض الأحيان، خطوط أسفل المسطح منقوشة بواسطة أزميل، تعبر كذلك عن فمه أو منخره. وبالرغم من قلة هذه الأساور، فإنها وجدت ضمن الأدوات المعدنية لمقبرة بني مسوس، بووشن، الكراشم، في منطقة بوغار، بأشكالها الحقيقية التي تشبه إلى حد كبير رأس ثعبان، كما نجدها أحيانا في أشكال متطورة، محورة على هيئة نهايات مستطيلة مسطحة ذات اختناق، يحمل بعضها حلقات أو أشكال صليبية ترسم على هذه النهايات، وهي تمثل عيون هذا الزاحف، كما نجد على ظهر الساق خطوط منكسرة متتالية تذكرنا هي الأخرى بحراشف جسم الزاحف.

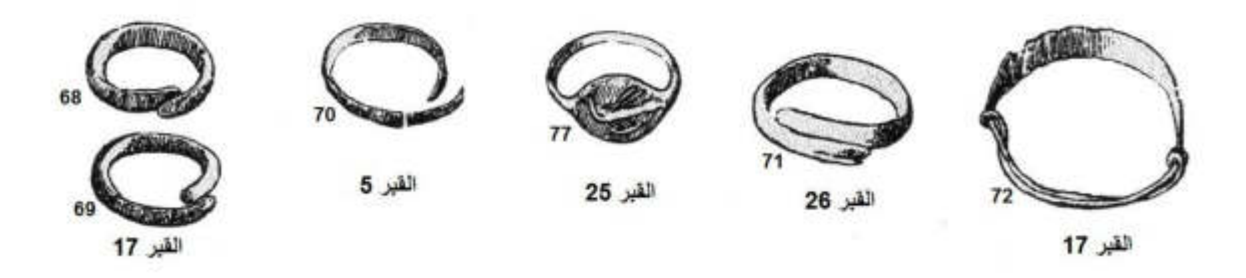
2.1.3 الأساور المفتوحة بنهايات حادة و متراكبة: هي من الأشكال الأكثر تواجدا من بين الأدوات المعروفة، يتميز هذا النوع بتضاؤل سمك جسم السوار تدريجيا من المركز إلى النهايات، التي تكون شبه حادة، لتمتد وتتراكب الواحدة فوق الأخرى، بحيث يحتفظ السوار بنفس السمك في جميع أبعاده. وقد عثر على هذا النوع من الأساور في كل من

مقبرة بني مسوس، الركنيّة، قاسطل، وغيرها، بعض هذه الأساور لا تتراكب نهاياتها بل تبقى متقاربة دون أن تلتحم.

2.2 حلقات و أقراط الأذن : تأتي أهميتها في الأثاث المعدني بعد الأساور، وهي ذات أشكال متنوعة أبسطها الحلقات المفتوحة الدائرية أو البيضاوية، التي تحمل نهاية حادة تسمح باختراق شحمة الأذن، هذه المجموعة سهلة التعرف عليها، وهناك حلقات أخرى لا تدل مباشرة على أنها أقراط، لكن يمكن تمييزها كذلك من خلال المقاييس، إذ نجدها اقل حجما من أن تستعمل كسوار وأكبر حجما من أن تكون خاتم، ومن ثمة يمكننا تصنيفها ضمن الأقراط. كما توجد فئة أخرى من الأقراط بشكل هلال،هذه المجموعة يصعب تمييزها عن بعض الخواتم لكبر الشبه بينها، إلا أن في هذه الحالة تكون نهايات القرط رقيقة وحادة مما يجنبنا الخلط بينها وبين، الخواتم وكمثال عن أماكن تواجد هذه الأقراط، نذكر كل من مقبرة رأس العين بومرزوق، قاستال، عين الصفراء،..الخ، كما عثر في مقبرة بني مسوس على قرط في غاية الأهمية كونه يحمل جلجل وهو موجود حاليا في متحف الباردو بالجزائر



2.3 الخواتم: تعرف هذه المجموعة بندرتها في مقابر فجر التاريخ في الجزائر، و قد استطاع الباحث Camps من إحصاء 23 خاتما تظهر هذه الخواتم عامة على شكل شريط معدني بسيط و مسطح، مغلقة أحيانا و مفتوحة تارة أخرى، و في هذه الحالة تمتد النهايات و تتراكب مع بعضها و هناك خواتم أخرى مكونة من شريط معدني مزود بشبرقة و هي عبارة عن حلية زخرفية تزين حلقة و هي أكثر ندرة من الخواتم الأخرى و نشير أن بعض الأدوات التي تشبه نابض لولبي، يمكن تصنيفها ضمن الخواتم، أما التي تتميز بصغر قطرها فهي تمثل بالتأكيد، عناصر تزين بها العقود.



خواتم منها اللولبية جزئيا والمغلقة، تحمل بعضها على شبرقة.

2.4 الذؤابات: وهي عبارة عن حلقات صغيرة تكون في الغالب ذات سمك معتبر، بحيث تنظم هذه الحلقات داخل سلك من البرونز، و قد عثر على هذا النوع من الحلي في دولمان مقبرة الركنية أينا كتشف هيكل بعنقه سلكا من البرونز به ثلاث حلقات صغيرة و سميكة تعرف بالذؤابات وهي تحمل ثقب ضيق في المركز تميزها عن شبيهتيها الخواتم والأقراط.

2.5 الإبازيم: هي دبابيس أو مساسك الأمان، تستعمل لتثبيت اللّباس، في أوروبا تلعب هذه الأدوات دورا كبيرا في التصنيف الكرونولوجي و الأتنوغرافي لمختلف المراحل التاريخية إلى غاية فترة السيطرة الرومانية، فهي بمثابة مؤشّر رئيسي لمراحل فجر التاريخ، بينما في شمال إفريقيا فإن أهميتها لا تتعدى الدور الوضيفي الذي تلعبه فقط و هذا نظرا لقلّتها، فمن بين المقابر التي زودتنا بهذه النماذج هي مقبرة قاسطل. أما أبازيم مقبرة بني مسوس، فهي تنتمي إلى نوعين مختلفين :الأول مزود بحامل المثبت، أما الأخرى فهي في شكل اوميغا وهي الوحيدة المحفوظة، موجودة حاليا في المتحف الباردو.

3.0 الأسلحة و الأدوات الأخرى: كان سكان أو شعوب حضارات ما قبل التاريخ يمتلكون أسلحة هجومية، كالخناجر، السكاكين، الفؤوس البسيطة، أقواس للسهام، لكن نادرا ما تدفن هذه الأسلحة معهم باستثناء ضريح الصومعة بلخروب أين عثر على سيف، رماح، و أسلحة وأخرى للدفاع.

كما عثر بعين الباي على سكاكين ذات مقابض خشبية يدلّ عليها التمدّد الحديدي الذي كان يخترقها في الوسط. بالإضافة إلى شفرات مقوّسة نوعا ما والتي قد تعود لمناجل. بالإضافة إلى مقابس السهامDouilles .

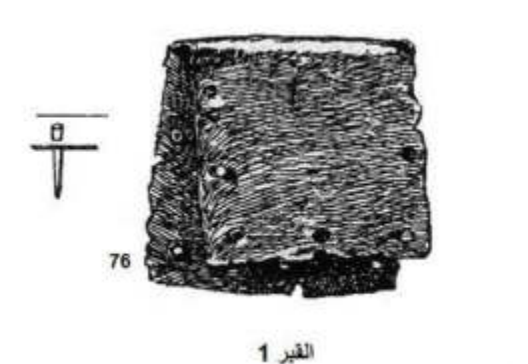


بقايا سكاكين ومنجل.

3.1 السنارات : وهي أداة مشكلة من خيط معدني تحمل في الأعلى مدبب ملتوي نحو الداخل، شكلها العام يشبه تقريبا الأشكال الحالية، عثر على هذا النوع من الأدوات في موقع علي باشا ببجاية

و من ضمن المتفرّقات نجد داخل المعالم الجنائزية على كل من :قطع نقدية نوميدية، قطع نقدية قرطاجية. قطع نقدية رومانية.

– صفائح مطويّة قد كانت تمسك مادّة عضوية مثبّتة بعدد من المسامير الصغيرة.





- مقفل حزام بجلجل(Bélière) من مادة النحاس.

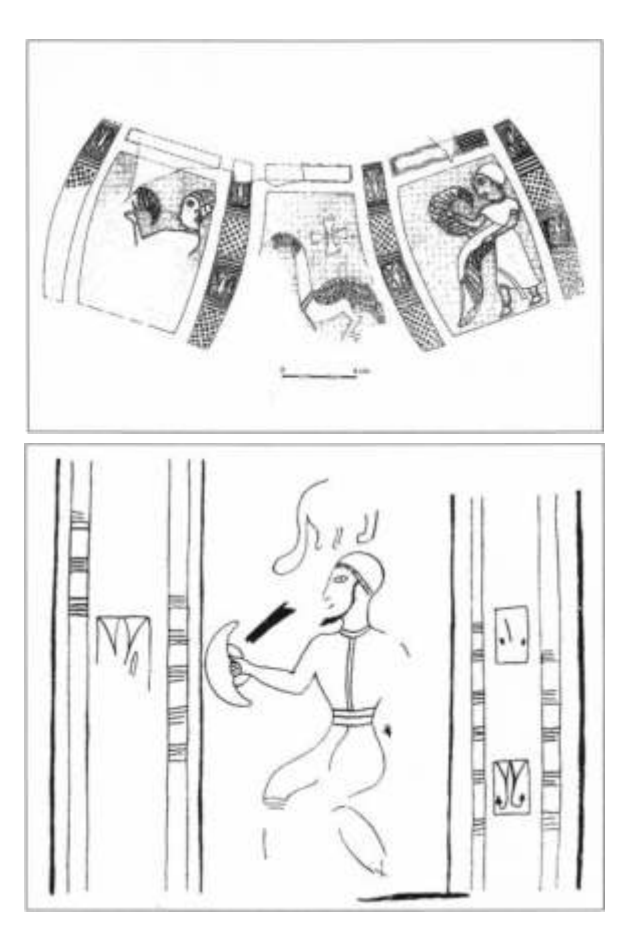
- قضيب قد يمثّل شكيمة Mors وهي من مادة الحديد.

- عدد كبير من القطع الحديدية بالإضافة إلى مسامير مؤكسدة.

- معالق (crochets)

بيض النعام والمرفقات البونية:

تضمنت المرفقات الجنائزية في مقبرة قونوقو البونية بالإضافة إلى المزهريات والحلي، قشر بيض النعام. وتأتي بعد مقبرة فيلاريكوس في الترتيب، حيث كان هناك أكثر من خمسمائة قشر بيض النعام. أما مدينة إيبيزا فاستخرج منها سبعة وستين، أصبحت قونوقو بنماذجها العشر المحفوظة، ثالث موقع يقدم فيه هذه الاواني المستعملة بمثابة مزهرية. يقول كل من S.Gsell و F. Missonnier أنه كان هناك بيض نعام في جميع القبور تقريبًا، وربما تم الحفاظ على البيضات ذات الزخرفة فقط؟ ولها قرابة مذهلة في التشابه مع بيض فيلاريكوس حيث تم قطعهم جميعًا إلى 4/3 ارتفاعهم والزخرفة مقسمة إلى حواجز. طغى الطلاء المستخدم في هذه الزخرفة سطح الأصداف، مما يعطي الانطباع بأنه محفور.



نقوش على بيض النعام بموقع قونوقو

عادة ما تكون الأشياء الموضوعة في القبور الفينيقية البونية بسيطة وقليلة والبعض منها هو كان ملكا للميت أما الآخر فهو يمثل قرابين.

الأثاث الجنائزي للقبور الإفريقية والايطالية يتألف من نفس مكونات القبور الشرق الأدنى والقطع الفخارية والحلي هو عادة من نفس النماذج الشرقية. مع إمكانية وجود خصوصيات هي كل موقع راجعة للتأثير المحلي أو الأجنبي مثال وفرة الأسلحة في موقع رشقون أو الأثاث المصغر في قرطاج ووجود الخزف الليبيري في الأندلسيات والخزف الأتروري في بيتيا.

الفترة الفينيقية تميزت مثل المواقع المشرقية بوجود أواني ذات طلاء أحمر لمّاع. وبأواني كورنثية مبكرة وكورنتية " و بوكيرو " توجد في القبور الترية مع التمائم والحلي وأدوات معدنية أخرى وعظمية وعاجية وبلورية وفخارية إلى غير ذلك.

في بداية القرن السادس يتوقف وجود الأواني ذات الطلاء الأحمر اللمّاع وتكثر الأقنعة والدمى في كل من سردينيا وقرطاج والوطن القبلي.

في فترة لاحقة تظهر الرضاعات والمعطرات وتجلى التأثير اليوناني فإن الأثاث الجنائزي المشرق وايطاليا متفاوت.

III- العادات والطقوس الجنائزية :

إنه يصعب على أي كان محاولة تحديد المعتقدات الدينية السائدة لدى القدامى من خلال ما عثر عليه داخل مقابرهم أو من خلال دراسة معالمهم الجنائزية. بل نكتفي في الوقت الراهن بالإدلاء، على أنهم كانوا يولون اهتماما كبيرا بموتاهم، أين شيّدت مدافنهم في مقابر ضخمة ذات غرف جنائزية موجهة نحو مختلف الجهات، بنيت بمواد صلبة وكأنّهم أرادوا لها البقاء الأبدي. ودفنوا جثث موتاهم في وضعيات وبطرق مختلفة مصحوبة بأثاث جنائزي ممّا يؤكّد بوجود حياة ما بعد الموت، هذه السلوكيات تبرهن عن وجود ديانة أو معتقدات لدى القدامى كانت تمارس بقوة، أين نجد بعض من مخلفاتها مازالت سائدة إلى يومنا هذا.

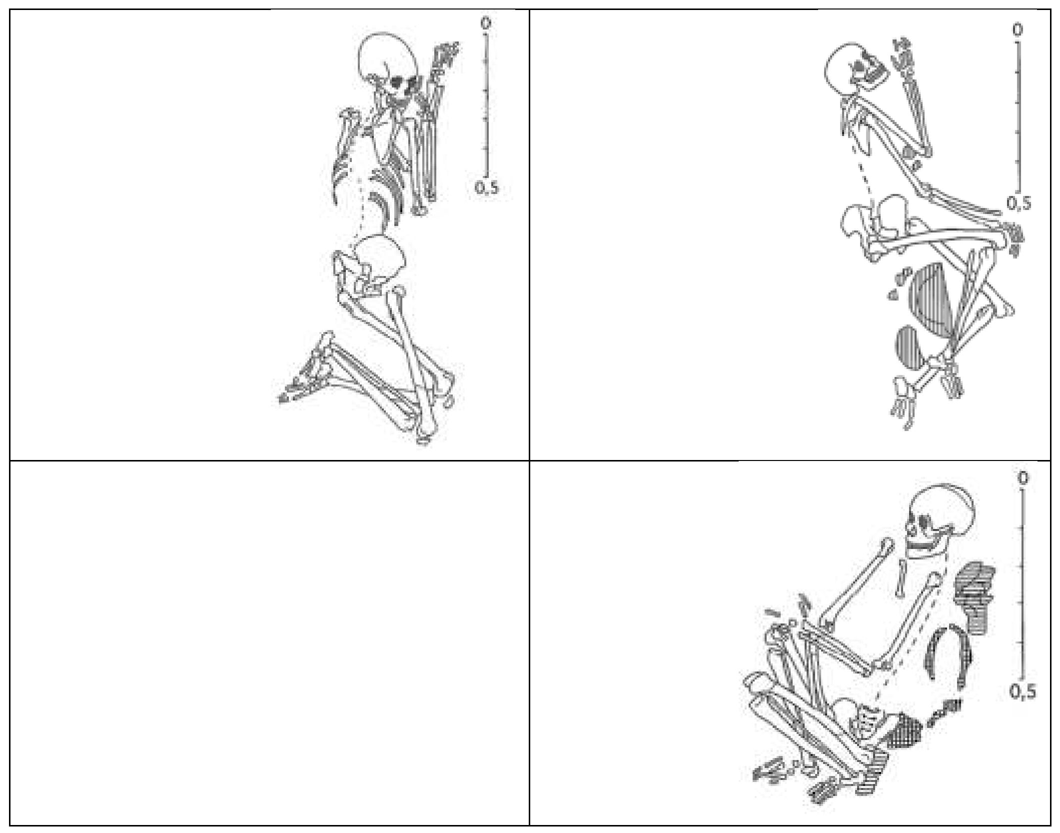
4.1. طرق ووضعيات الدفن :

لقد استخلصنا عند تصفّحنا لمختلف تقارير التنقيبات المجرات على مقابر شمال إفريقيا عموما والشرق الجزائري خصوصا، بوجود عدة وضعيات في دفن الجثث وبقايا الأموات نستهلّها بما يلي:

أ – الوضعية الجانبية المنطوية

عثر على بقايا ومخلّفات هذه الوضعية في جل مقابر شمال إفريقيا خلال الحفريات، ويرى كامبس[1] بأنّ هذه الوضعية، تعدّ من أكثر الطرق المستعملة في الدفن على مستوى كل القارات، فهي جد بدائية إذ يرجع استعمالها في شمال إفريقيا إلى الحضارة القفصية، وقد أستمر إستعمالها حتى العهد الروماني في منطقة فزّان، أين لوحظت بمعية مصابيح زيتية كانت مدفونة رفقة الموتى. أرّخت بالقرن الثالث والرابع الميلادي (3 – 4 م). وكذا في القبور المحاطة بضريح تين هينان أين يرىReygasse [2] بأنها أنجزت ما بعد القرن الرابع.

تتمثّل هذه الوضعية في وضع الهياكل العظمية على الأرض مباشرة وعلى الجنب الأيسر أين تكون الأطراف السفلى مثنية ومنطوية جزئيا، أمّا العلوية فتكون منطوية على مستوى المرفقين، كي توضع الأيدي قرب الوجه، وتعد هذه الطريقة بمثابة وضعيّة النوم العادي.



مختلف أنواع الوضعية الجانبية المنطوية.[3]

[1]-Camps G., 1961, Op. Cit. p 467

[2]-Reygasse M., Monuments funéraires préislamiques. p.97.

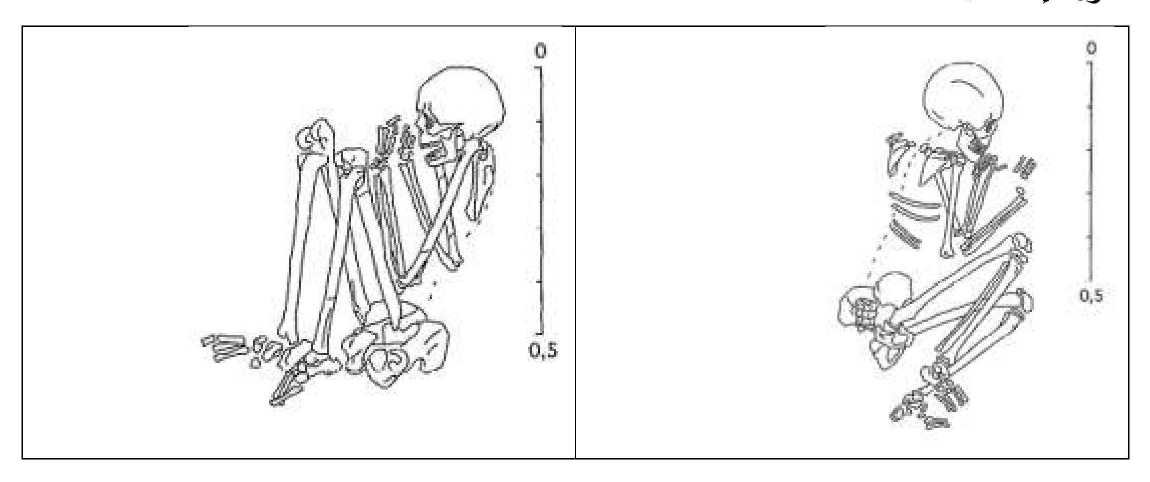
[3] Paris F., Les sépultures du Sahara Nigérien du néolithique à l'Islamisation. T.2, 1996. P. 541.

ب- وضعية القرفصاء :

وجدت هده الوضعية أثناء الحفريات غلى عدد معتبر من المقابر فهي تشبه الوضعية المنطوية، لكن في هذه الحالة يكون الإنطواء كاملا وعنيفا، لدرجة أنه يحدث أحيانا ابتعاد المفاصل فيما بينها، فتطلب هذه الطريقة ربط أو رزم الجثة حيث يتقلّص حجم الجسد ليتحصل على مساحة صغيرة داخل قبره سواء داخل المصاطب أو السراديب. فكانت تجلب الركبتين إلى الوجه وفي بعض الأحيان في مقبرة سيقوس، حيث عثر على هيكل عظمي يلتمس فيه الساق مع دقن الميت. وتلتمس الأعقاب مع عظم الحوض، وتكون الأطراف العليا منطوية حيث توضع الأيدي قرب الجمجمة. أمّا في عدد من القبور فكان التقرفص أقل عنفا حيث تجلب الأطراف العلوية والسفلية إلى الصدر بطريقة مرنة.

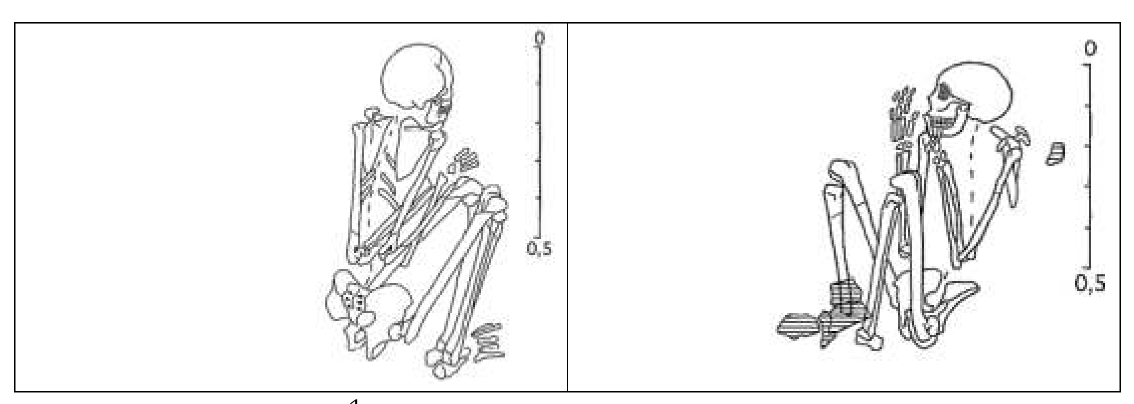
أمّا في سراديب سيلا، فحسب تقرير Logeart[1] فإنه عثر على ثلاثة هياكل مندسّة في مساحة ضيقة، ومحتفظة بعلو يتراوح مابين 20 إلى 30 سم. ممّا يدل بأنهم دفنوا بهذه الطريقة لكن في وضعية الجلوس، فعند إنحلال الجثة، انهارت مختلف عظام الموتى على بعضها.

تعتبر هذه الطريقة في الدفن من أكثر الطرق إستعمالا في مقابر شمال إفريقيا والصحراء، أين يرى السيد مونو Monod[2] بأن في هذه الأخيرة، بقيت هذه الوضعية مستعملة إلى غاية العصور الإسلامية.



[1]- Logeart F., Op. Cit. p.76.

[2]- Monod T., l'Adrar Ahnet. fig.9.



مختلف أنواع وضعية القرفصاء.[1]

ج- الوضعية الجانبية والظهرية الممدودة :

يرى قزال Gsell[2] بأن هذه الوضعيات تعد من الطرق النادرة داخل المقابر المحلية والتي يرجعها إلى فترة جد متأخرة. هذا ما ذهب إليه كامبس.الذي يرى بأن الفينيقيين ثم الرومانيين هم، الذين أدخلوا هذه الوضعية لشمال إفريقيا. وهذا نظرا لعدم وجود هذه الوضعيات في المناطق التي لم تخضع للتأثيرات الفينيقية والرومانية، فالدفن الممدود انتشر إلاّ في الفترات ما بعد دخول الإسلام.

هذه الطريقة في دفن الأموات نجدها بأعداد قليلة على عدد من المقابر، ففي بووشن فإن الهياكل كانت موضوعة على الجنب الأيسر والوجه موجه نحو المشرق، علما بأن جماجمهم كانت منفصلة عن بقية الهياكل وذات التوجيه نحو الشمال للغرف الجنائزية. في هذه المقابر الموجهة عموما من الشرق إلى الغرب مع بعض الإنحناءات في المحاور. فهذا الأمر قد يفسر بأن رؤوس الجثث قد وجهت بطريقة عنيفة نحو الشرق، أو انحنت بطريقة تلقائية بعد إنحلال الجثة داخل الغرف.

أما في سيقوس فقد عثر Thomas[3].على هيكل كامل لشخص بالغ دفن ممدود على ظهره وكان رأسه موجه نحو الغرب. وضعت فوق صدره آنية فخارية مقلوبة وهي مصنوعة بالدولاب، عثر بداخلها على قطعة نقدية برونزية للإمبراطور دوميسانDomitien، هذا ما قد يدعم ما ذهب إليه قزال وكامبس.

1- Paris F., Op.Cit. P. 541.
2- Gsell S.,HAAN.T.VI.p.215.
3- Thomas M., La nécropole mégalithique de Sigus. p.110.

د- الدفن الثانوي :

عثر خلال كل الحفريات المجراة على مدافن شمال إفريقيا على عدد كبير من العظام البشرية في وضعية فوضوية حيث اختلطت فيها مختلف عناصر الهياكل العظمية مع بعضها البعض، سواء في مساحة محدودة أو على طول رقعة الغرفة الجنائزية.

وفي الكثير من الأحيان، وجدت هذه الهياكل ناقصة البنية والعدد، خاصة منها العظام الهشة. فهذه الظاهرة، نجد لها أسباب عدة ترجع إلى:

– قد تكون الهياكل العظمية المدفونة لأول مرة في إحدى الوضعيات المذكورة سالفا، تعرضت للنبش من أجل إعادة استعمال نفس الغرفة الجنائزية لإستقبال جثة جديدة، وعليه يؤخذ ما بقي من عظام الهيكل المدفون سالفا، لتوضع في إحدى جهات القبر، ففي سيقوس ورأس العين بومرزوق عثر كل من Thomas و Feraud على انتشار عدة عظام بشرية على جوانب الغرف الجنائزية، موضوعة بطريقة فوضوية وناقصة، وتمتد بقربها هياكل عظمية كاملة. لكن هناك العديد من المدافن احتوت على عظام مختلطة لشخص واحد أو لعدّة أشخاص دون اللّجوء لإعادة استعمالها.

هذه الطريقة مازالت تستعمل عندنا وخاصة في المدن الكبرى التي تعرف ندرة في المساحات المخصصة للدفن داخل المقابر.

– وجود عناصر عظمية غير كاملة لعدة أشخاص داخل قبر واحد، أين لوحظ في بعضها وجود سوى الجماجم، ذات المتوسط العددي الذي يتراوح مابين 8 إلى 9 جماجم داخل المصاطب وبحوالي أربعة وعشرون (24).جمجمة داخل السراديب، مصطفة الواحدة قرب الأخرى على حواف الجدران.هذه الظاهرة لانجد لها سوى تفسير واحد يكمن في جلب رفات الأموات من أماكن أخرى. ونظرا لكثرة عددها، فمن الأكيد أن تكون لمقاتلين سقطوا أثناء الحروب في مواطن ومناطق أخرى.

هذا السلوك معروف حتى في الفترة الرومانية، أين أثبتت التنقيبات في إحدى غابات توتوبورغ الألمانية التي كانت مسرحا لمقتل 20.000 من الجنود الرومان و10.000 من المدنيين، كانوا تحت قيادة Varrus quintus إثر كمين نصب لهم من طرف برابرة جرمانيا، وعلى رأسهم

المتمرد أرمنيوس. فخلال الحفريات عثر على مختلف الأسلحة والأدوات التي كانت برفقة الضحايا، لكن لم يعثر على أي هيكل عظمي في المنطقة، فحسب ما يروى فإن الإمبراطور أوكتافيوس، بعث بوفد لتقصي حقائق ماحدث لفيالقه الثلاث. ويجهل مصير الجثث التي تكون قد أحرقت سواء من طرف الجرمان أو من طرف رفقائهم الناجون. واعتقد بأن طريقة الحرق هي التي نفّذت بحكم ممارسة هذه الطقوس لدى الرومان على عكس ما هو مألوف عند البربر القدامى الذين تغاضوا كليا عن هذه العادة غير الممارسة في كل المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية.

إنّ تفسير كامبس لطريقة تجريد العظام من لحمها، تكمن حسبه في وضع الجثث داخل مقابر أولية، لتحوّل مرّة ثانية في مقابر دائمة أو توضع الجثث في الهواء الطلق قصد إهمالها للحيوانات وانحلالها التام، يعدّ أمر غير منطقي، إذا ما نظرنا إلى قداسة الأموات عند القدامى، أين تقام لهم معالم جنائزية التي تعدّ من أهم العمائر الشاهدة لحضارتهم، فإذا ما أعدنا تشكيل البيئة القديمة، نجدها عامرة بالحيوانات المفترسة كالقوارض والحيوانات الآكلة للحوم من بين هذه الأخيرة، هناك بعض الحيوانات التي لا تترك أيّة قطعة من جثث الأموات على أرض الميدان حتى ولو كانت عظاما. فالأمر يتعلّق حسب اعتقادنا بعملية جلب رفاة الموتى الذين توفّوا أو قتلوا في أماكن بعيدة عن مواطنهم الأصلية، خاصّة إذ علمنا مدى انتشار ظاهرة وجود هياكل غير مكتملة العظام للجسد الواحد داخل المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية بصفة عامّة والتي نفسّرها ونربطها بمدافن العديد من الأشخاص الذين شاركوا فيمختلف الحروب القديمة ونخصّ بالذكر أيضا الحروب البونية المتزامنة من جهة وبناء المعالم الميغاليثية وشبه الميغاليثية لدى النوميديين، وقد يفسّر هذا أيضا المدافن الخالية تماما من العظام البشرية والتي قد شيّدت تخليدا لأصحابها الذين لم يسعفهم حظ جلب رفاتهم.

ه- الدفن داخل الأواني الفخارية :

لقد عثر Logeart على اثنان وستون (62).آنية فخارية داخل سراديب سيلا، كل واحدة منها موضوعة قرب جمجمة، كانت تحتوي بداخلها على بقايا عظمية صغيرة ومنكسرة. فقد تكون هذه العظام تنتمي لنفس الأشخاص الموضوعة جماجمهم على طول جدار السراديب.

محتوى هذه الأواني كانت تحتوي على:

- بقايا عظام الجماجم المهشمة، داخل 10 أواني.
- فكوك سفلية، داخل 3 أواني.
- أسنان، داخل 24 أنية.
- فقرات، داخل 11 آنية.
- عظام الترقوة، داخل آنيتين.
- ألواح الكتف، داخل آنيتين.
- الأضلاع، داخل 10 أواني.
- الأطراف العلوية، داخل 10 أواني.
- عظام الرسغ، داخل 3 أواني.
- عظام السلاميات، داخل 9 أواني.
- عظام الحوض، داخل 11 آنية.
- عظام الأطراف السفلى، داخل 6 أواني.
- عظام المشط، داخل 11 آنية.

هذا ما قد يدعّم فكرة إعادة جلب الرّفاة بطريقة أو بأخرى ولما لا حتى في أوعية فخارية بالنسبة للعظام الصغيرة والمنكسرة.

أمّا خلال الفترة البونية فيقول الباحث عادل نجيم، بأنه في المواقع المتوسطية الغربية شهدنا طريقتي إقبار وهما الدفن والحرق. وإن كان الدفن غالبا طول الفترة العتيقة وحتى نهاية القرن الخامس فإنه انطلاقا من هذا الحد الزمني بدأ يتناقص تدريجيا لصالح تحت تأثير الشعوب

المحلية من ناحية وكذلك انتشار الثقافة اليونانية خاصة في الحوض الغربي حسب المواقع فإن القبور للمتوسط ذات طريقتي إقبار تكون إما منفصلة أو متداخلة. لكن عادة ما نجد قبورا ذات خصائص متشابهة مجمعة في نفس الناحية.

أ. **الدفن**

في حالة اعتماد الدفن فإن القبر يحتوي على تهيئة خاصة مثل التوابيت الحجرية أو الفخارية أو الخشبية أو كذلك دكة مبنية أو من التراب المدكوك لتعتمد كمرقد للميت. التوابيت نادرا ما تكون مزركشة وأحيانا ما تكون ذات أشكال بشرية. المرقد المعد لاستقبال الجثة يمكن أن يكون مفروشا مسبقا بالرمل أو بالحصى.

بعض الملاحظات المتفرقة والمتأخرة كرونولوجيا تجرنا للتفكير بأنه في بعض الحالات عرفت الجثث غسلا طقسيا ونادرا ما كانت معطرة أو محنطة ثم يقع إلباسها ثيابا ولفها في لحاف وإلباسها حلية ذات وظيفة تعويذية. بعد ذلك يقع وضعها في القبر ملقاة على الظهور وأحيانا يوضع لهما بعض الأشياء في أكفها وباقي الأشياء يوضع حولها. كذلك نتوقع أن حفل الدفن كان يتضمن حركات طقسية مثل التجمع والبكاء والتبخير وتكريس الأواني وإراقة العطور على الجثث والذبح والمأدبة.

في بعض الحالات هناك بعض الطقوس المحلية مثل الصلب تحل محل الطقوس الفينيقية البونية.

ب. الحرق

في حالة الحرق تجمع للعظام المتبقية ويقع تهشيمها وغربلتها ثم ردمها في التراب أو وضعها في صناديق من الفخار والحجارة أو الخشب أو الرصاص.

احتياجات الميت :

عادة ما تدفن مع الميت بعض المستلزمات من أواني فخارية وحلي معدنية بالإضافة إلى بعض الوسائل الترفيهية، فإن كان الفخار الصغير قد منحت له الأبعاد الطقوسية. فإن مختلف

الأواني الأخرى، قد احتوت على مختلف المواد الغذائية التي لا نستطيع تحديدها إلا عن طريق تحاليل التربة المتواجدة بداخل الأواني.

أما بالنسبة للحلي المعدنية الخاصّة بالزينة أو تلك التي لها وظائف نفعية والتي تمّ العثور عليها مع الميت، فإن تقارير الحفريات القديمة لا توضح بدقة مكان العثور عليها داخل القبر، فمن الأكيد بأنها كانت معلّقة أو مشدودة في الأماكن المخصصة لها عند الأحياء، فإن كان ذلك قد تمّ بهذه الكيفية فقد يبرهن على أن الموتى كانوا يدفنون بملابسهم.

أما فيما يخص إدراج بعض من بقايا الحيوانات الأليفة داخل القبور فكانت ظاهرة عامة على مختلف مقابر شمال إفريقيا عثر داخل بعض مدافنها على بقايا لعظام الأحصنة، عظام عصافير، عظام الأبقار....

- توجيه المعالم الجنائزية:

لم تأخذ مسألة توجيه المعالم الجنائزية نصيبها من الأبحاث والدراسات، إذ بقيت تعدّ بمثابة الحلقة المفقودة في كيان الثقافة الجنائزية رغم ما حضيت به من مكانة هامة ومقدّسة من طرف القدامى، نظرا لعثورنا على جزء من مغزاها عبر بعض من مخلّفاتها المادية.

فقد تضاربت الآراء حول توجيه المعالم الجنائزية إلى جهة ما أو إلى قبلات معينة. إلاّ أنّ الرأي الذي بقي سائدا والمتمثل في توجيه الغرف الجنائزية إلى الجهة الشرقية عموما. فالعديد من الأبحاث والدراسات دلّت على طغيان هذه القبلة ولو بهامش منفرج قد يصل من الجهات الشمالية الشرقية إلى غاية الجنوبية الشرقية. لكن هذه النظرية لا تتماشى والواقع المصادف في الميدان، بل تعاكسه تماما حيث توجّه غرف المعالم الجنائزية البارزة فوق سطح الأرض إلى قبلات متعدّدة ومختلفة في الموقع الواحد. ويتعيّن بأنّ نفس الأمر انتهج في أوروبّا، حيث لاحظ ج. بايو بخصوص الأروقة المغطّاة بفرنسا بأنّ معالمها موجّهة إلى عدّة قبلات وهذا بسبب نوعيّة وهيئة الأرضيّة[1].

إنّ الكثير من السلوكيات الخرافية المستمدّة من المعتقدات القديمة كانت بدون شكّ ممارسة لدى أصحاب المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية متمثّلة في تبجيل الأشجار

[1] Bailloud G., Le néolithique dans le bassin Parisien. 2eme supplément à Gallia préhistoire, Paris. CNRS, 1964, P. 157.

والتعبّد في المزارات وتقديس الجبال والصخور، ومن خلال هذه العادات الطقوسية، تتجلّى بوضوح ديمومة بعض عناصر الديانات الوثنية القديمة وهي معتقدات بقيت متجذّرة لدى سكان الأرياف إلى غاية وقت ليس ببعيد رغم حلول عدّة ديانات سماوية متوافدة على بلاد المغرب دون أن تقضي نهائيا على عدد من شعائرها ومعتقداتها رغم محاولات منع إقامتها منذ القدم، على غرار المرسوم الإمبراطوري لسنة 407 م الذي يقضي بحظر كل المعتقدات الوثنية بالإضافة لمختلف مراسم المجالس التي بيّنت مدى تنديدها بهذه السلوكات كمجلس آرل Concile d'Arles سنة 452 م الذي تمّ فيه إعلان اللّعنة ضد كل من يشعل الشموع والمشاعل اعتقادا منه بقداسة الأشجار وعناصر المياه كالمنابع والنافورات إلى غير ذلك من الأمور كالصخور. ونفس الأمر بالنسبة لمجلس تور Concile de Tours سنة 567 م أين أمر أحد رجال الدّين بعزل من المجتمع كل من يقوم بسلوكات مخالفة للكنيسة قرب الأشجار والنافورات والحجارة، وبقيت نفس الممنوعات تتجدّد في مختلف المجالس مثل نانت Nantes سنة 658 م وطليطلة Tolède سنتي 681 م و682 م.

وبقيت هذه المقاومة سائدة إلى غاية حكم شارل الكبير Charlemagne الذي أصدر مرسوما سنة 789 م ضد معتقدات الأشجار والصخور والنافورات[1].

كل هذه القرارات الردعية تبيّن مدى تقديس القدامى لعدد من المظاهر الطبيعية والتي نرى اعتمادا على عدد من المخلّفات الآثرية بأنها أخذت كقبلة لتوجيه معالمهم الجنائزية، وهذا ما وقفنا عليه في العديد من الحالات بمختلف مقابر الشرق الجزائري، تتجلّى في توجيه محور الغرف الجنائزية نخو الجبال وقمم المرتفعات بوجه الخصوص والتي من غير المستبعد كانت تتربّع من فوقها أماكن العبادة كالمعابد والمزارات والأضرحة.

فبالتأكيد تكتسي هذه الظاهرة على دواعي معيّنة، نعتقد بأنّها في الكثير من الأمثلة ذات أبعاد طقوسية لها صلة بمعتقدات دينية تارة وبشروط تطبيقية يمليها العامل الطبوغرافي تارة أخرى. ويمكن تفسير توجيه المعالم إلى قبلات معيّنة بالأسباب التالية:

[1] Dechelette J., Op. Cit. T. 1, P.379.

أ- **التوجيه نحو طلوع الشمس:**

هناك عدد من المعالم الجنائزية بمختلف أنواعها وأنماطها في كل المقابر المدروسة موجّهة بصورة واضحة نحو الجهة الشرقية بزاوية تنفرج وتتّسع من الجهة الشمالية الشرقية إلى غاية الجهة الجنوبية الشرقية وهي الواجهة الموافقة لطلوع الشمس في مختلف فصول السنة، فمن خلالها يمكن التعرّف على القبور المنجزة في فصل معيّن من فصول السنة، ويكون هذا محصورا على الشخص أو الأفراد المدفونون في نفس الوقت داخل القبر الواحد، أمّا أولائك الذين دفنوا خلال إعادة أو مواصلة عملية الدفن داخل نفس القبر القائم من قبل، فيتعذّر علينا معرفة الشهر أو الفصل الذي ووري فيه التراب.

في موقع هنشير لحجر بالنفيضة، يؤكّد هامي M.T. Hamy على توازي الغرف الجنائزية فيما بينها بخصوص التوجيه في المجمّع الواحد من المقبرة (كون المقبرة على هيئة عدّة مجمّعات) وباستعمال البوصلة، اتضح تباين في اتجاه المعالم من مجمّع لآخر يبعد عنه، فهذه التوجيهات تختلف حسب وضعيّات طلوع الشمس صيفا وشتاءا، وعليه يمكن تقبّل فكرة كل فوج من المعالم الجنائزية بني كل واحد منه خلال فصل من فصول السنة[1].

ويضيف هامي بخصوص منطقة النفيضة Enfida حول ما تبقّى من مصاطب موقع دار بلواعر، فاتّضح له بأن كل مصطبة بنيت على قاعدة دائرية تتراوح ما بين 5 و12م، هذه الحلقة مدرجة داخل حلقات مركزية أخرى مقطوعة عموما من الجهة الشرقية بواسطة نقطة بادئة على شكل ثقب المفتاح تتموضع فوق السطح الأعلى للغرفة الجنائزية المغلقة من جهاتها الثلاث وتبقى مفتوحة من الجهة الشرقية[2].

تبجيل الكواكب وخاصّة الشمس والقمر منها كانت ممارسة عند الشعوب القديمة، حيث تذكر مليكة حشيد أنّه منذ ظهور البربر القدامى بالصحراء ثم من بعدهم نسلهم المكوّنون من الليبيين والقرامونت Garamantes، كانوا يمارسون طقوس الكواكب، فالشهادات القديمة المتمثّلة في توجيه موتاهم ومبانيهم الدينية تؤكّد هذا الأمر. ففي وادي الأجيال كانت المدافن

---

[1] Hamy M.T., Cistes et nécropoles Berbères de l'Enfida, Tunisie moyenne. Etude ethnographique et archéologique. B.G.H.D., 1904, N° 1, P.38.
[2] Ibid. P.37.

مصحوبة بمسلاّت. ونحن نعلم بأنّ المصريين القدامى كانت لهم تقاليد نصب المسلاّت على مداخل المعابد والتي كان لها بعد مقدّس مرتبط بعبادة الشمس. وتتسائل عن شكل التلال الجنائزية المشابهة للهلال وعلاقتها بشكل القمر، وعن استعمال شروق وغروب القمر لقياس الزمن. لتضيف بأنّ مسينيسا أحد أكبر الشخصيات البربرية كان يبجّل الشمس لطلب ما كان يأمله، فكان يوجّه صلواته للقمر والشمس بقدر مماثل للذي كان يقدّمه للمعبودات البونية، حيث تربّى في وسط ثقافتها وترسّخت ديانتها فيه لكنّه كان يمارس أيضا شرائع أجداده. كما نعلم أيضا بأنّ ظهور القمر أثّر على المجتمعات المورية والنوميدية التي كان عدد من قبائلها القديمة ترمي نحوه بعض الأشياء اليابسة لتطلب بدلها أشياءا خضراء[1] وكأنّ القمر معبود من معبودات الخصوبة.

قد ندرج إلى حدّ ما الأنصاب الحجرية العمودية التي كانت تنتصب مع الحلقات الحجرية المحيطة بالمعالم الجنائزية، فمنها المنصوبة في الجهات الشرقية للمدافن وكأنّها في مقدّمة القبر تطل على اتّجاه طلوع الشمس، إلاّ أنّ عدد آخر منها متموضع في جهات شتّى من حلقات المعالم سواء مازالت منصوبة أو واقعة على الأرض، تطلّ على قبلات مختلفة، قد تكون موجّهة نحو عناصر طبيعية مقدّسة أو أماكن العبادات بمختلف أنواعها المبنيّة بمواد حجرية أو عضوية زائلة كالأشجار المقدّسة.

ب- التوجيه حسب الجنس:

التنقيبات العلمية وحدها التي يمكن أن تزوّدنا بمعلومات حول هذه النظرية بما توضّحه من التأكّد على جنس المتوفّى، علما بأنّ تقارير الحفريات المجراة سابقا لم توضّح هذه المسألة ونكتفي بالإشارة إليها من أجل أخذها بعين الاعتبار في الدراسات القادمة عن طريق النتائج التي توصّل إليها باريس F. Paris عن المعالم الجنائزية بالنيجر حينما يقول بأنّها مدافن معقّدة تتشكّل من تلال جنائزية تغطّي حفرة تضم جثّة رجال في غياب تام للنساء في وضعيات جدّ منطوية، نائمين على الجانب الأيمن تكون فيها الرؤوس موجّهة نحو الشرق.

[1]M. Hachid, 2000, p. 292.

وفي المدافن على شكل أهلّة المنتسبة لفوج المعالم ذات القرون Antenne، محورها الأكبر موجّه دوما من الشمال إلى الجنوب، وتكون ذراعيها في غالبية الأحيان مفتوحة نحو الشرق والبعض الآخر يكون أحيانا مفتوح نحو الغرب، وبواسطة الحفريّات المقامة سمحت بتأريخها ما بين 3300 و1900 ق.م... ويتعيّن بأنّ الأشكال المفتوحة نحو الغرب تنتمي لمدافن النساء[1].

ج- التوجيه نحو قمم الجبال والمرتفعات:

يرى كامبس بخصوص المعتقدات السحرية والدينية للأفارقة القدامى بأنّه يمكن التعرّف على مزيج من الظواهر الطبيعية المقدّسة غير المنسجمة لأرواح عديمة التسمية وكائنات تحصّلت على مصف المعبودات المشخّصة وهي سلوكات أساسية مصدرها الحكمة، التعقّل، الخوف والعبادة، أدّت إلى ظهور معتقد منظّم نوعا ما. وبمثل أغلبية الشعوب البدائية، كان للأفارقة وعي وإدراك بوجود قوّة في الطبيعة بإمكانها التظاهر في أيّ وقت كان، داخل الانكسارات الطبوغرافية أو على مظاهر غير معتادة، وهناك احتمال وصولها أو وقوعها على حيوان قد يتحوّل إلى معبود جديد.

ويضيف بأنّه يمكن للقداسة أن تتظاهر على الإنسان بدون أيّ وسيط بدرجات متفاوتة عن طريق الحلم أو الرؤية أو الوحي[2].

ومن أهم المظاهر الطبيعية المقدّسة المنتشرة في العالم القديم ومازالت متواصلة إلى يومنا هذا لدى بعض الفئات والشعوب، فتتمثّل حسب كامبس في الأشكال الطبوغرافية وبالدرجة الأولى في الجبال والصخور أيضا حتى ولو كانت هذه الأخيرة بسيطة، ومن هاته الأماكن العالية، يذكر المعبد البوني أو ذو التقاليد البونية مثل معبد ساتورن بعلقرننسيس (بوقرنين) Baalcarnensis الواقع فوق جبل بوقرنين المطل على خليج تونس.

[1] F. Paris, 1994, p. 96-97.
[2] G. Camps, 1995, p. 144.



جبل بوقرنين. (ت. الأستاذ)



بعل ذو قرنين، المعبد البوني بالكنيسية.[1]

وعن أصول هذا السلوك المنتهج في تقديس الأماكن المرتفعة، يرى كامبس بأنّ لها خاصيّة محلية بيّنتها العديد من المعالم، بعضها ضارب في القدم كالرسوم الجدارية ذات الدلالة الدينية المجمّعة على بعض الجبال بالأطلس المغربي الكبير(ياقور بغات) وهي رسوم يرجع تأريخ بعضها للعصر الحجري الحديث وأغلبيّتها تعود لعصر البرونز وبداية عصر الحديد[2].

بخصوص جبال الأطلس الممتدّة من المحيط الأطلسي إلى غاية الأراضي التونسية بشطره التلي والصحراوي، التي بقيت محافظة على تسميتها إلى غاية يومنا هذا، فيرى كل من سترابون (Strabon, Géograpica.I.XVII.ch.3.2) وبلين الكبير (Pline l'ancien، Histoire ancienne .V.ch.I.13) وصولين (Solin، Polyhistor,25) الذين حافظوا لنا على تسميته المحلية وهي ديريس وأدّيريس[3]Dyris et Addiris. المشتقّة من أذرار جمعه إيذورار بمعنى جبل، فالأطلس كان مقدس لدى القدامى به معبود يرفع بيديه السموات، ربّما كان هذا كناية على علوه المناطح للسحاب وبالتالي القريب من السماء. وليس من باب الصدفة أن تقع إحدي المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية الكبيرة المعروفة بقسطل على سطح ومنحدرات جبل من نفس الدلالة ويدعى بالدير Dyr بتبسة حيث يفوق علوه 1000م، ونفس الأمر بالنسبة لعدد هام من المدافن المنتشرة قرب مدينة الكاف التونسية على مرتفعات جبل الدّير المطلّة قديما على موقع سيكا فنيريا Sicca Veneria.

[1]M.-H. Fantar, 1992, p. 135.
[2] G. Camps, 1995, p. 145.
[3] R. Basset, 1910, p. 3.

الشواهد المادية الممجّدة والمقدّسة للجبال عديدة في الفترة الرومانية، نذكر على سبيل المثال تلك النقيشة التي عثر عليها بالقرب من سور الغزلان، هذه المدينة التي يطل عليها جبلين يدعى الأوّل بجبل ديرا Dira المعبّر والذي يقدر علوه بـ 1800 م، عثر من فوق قمّته على بقايا قد تكون لمعبد أو ضريح[1]. والثّاني يدعى بقرن السلام الذي يرتفع بـ 1371م، عثر به وسط عدّة بقايا قديمة على نقيشة مهداة إلى روح الجبل باستوريانسيس pastorianensis الحامي من الرياح الهوجاء، عثر بقربها على العديد من البازينات[2] وهي كما يلي:

GENIO MONT(is) PASTORIA(nensis)

VIM T(em) PESTATVM (a) PATRIA N(ostra)

(arc)ENTI

يذكر بلين الأكبر الأساطير التي حكاها كتّاب مشهورون عن جبال الأطلس، إذ يقول "لا ترى به أي ساكن بالنهار، وكل شيئ به صامت، صمت الصحراء المهيب ويصاب الذين يدنون منه بخوف أو خشية دينية....أما باللّيل، فالأطلس يتألّق بألف وهج، ويعمّ بفرح الإيجيبان والساتير Egipans et Satyres، وتسمع أصوات الناي والشبتات والطبول والصنوج" يرى قزال بخصوص هذا الوصف أن نكاد نتعرف عليه بالظهور الصاخب للجن التي تسكن الجبل[3].

رغم بعد المسافة من هذا المكان، فنفس المعتقد مازال يروى في بعض من مواقع جنوب قسنطينة أين أسقطت هذه الظاهرة على تسمية إحدى ربوات جبل سي الطاهر والتي تحتوي بدورها على عدد من المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية باسم "طبطابة الجهالة"، ونفس الأمر وجدناه على المنحدرات الجنوبية المطلّة على مواقع سيلا والتي تحتوي بدورها أيضا على عدد من المدافن تسمى بطبطابة. فحسب قاطني هذه المنطقتين الذين ورثوا تسمية المكانين، عبّروا لنا عن نفس الحكاية آلا وهي سماع ايقاعات الدف نابعة من هذين الرقعتين المرتفعتين خلال الليل.

---

[1] S. Gsell, 1977, Feuille 14, N° 104, p. 11.
[2] S. Gsell, 1977, Feuille 14, N° 104, p. 7.
[3] Gsell S., HAAN, T.6, P.126.

وبناءا على هذه المعطيات التي تجسّد أهمية المرتفعات في المعتقدات القديمة والتي عثرنا على مخلّفات مادية واضحة تبيّن قداستها وتتمثّل في توجيه المعالم الجنائزية في العديد من الحالات صوب قممها ومرتفعاتها التي قد تكون خالية من كل تهيئة أو شيّدت عليها معابد أو أضرحة أو مزارات وحتى المذابح، التي لاحظها فال A. Vel على إحدى القمم الجبلية الواقعة على بعد 4 كلم شمال شرق سيلا (وهي منطقة عامرة بالمعالم الجنائزية) على صخرة منحوتة لها شكل كروي، سمكها 0.40م وقطرها 0.70م نحت على واجهتها لهيب ينطلق من مركز الصخرة، كان هذا مذبح مهدى بدون شك إلى بعض المعتقدات الزراعية والرعوية قد تكون لسيبال Cybele التي كانت تقدّس في الجبال وفي الأماكن البريّة المتوحشة والتي كانت في بادئ الأمور تجسّد بواسطة صخرة مخروطية أو هرمية[1].









[1] A. Vel, 1905, p. 221.





عيّنات من توجيه محور الغرف الجنائزية نحو المرتفعات بالشرق الجزائري.(ت. الأستاذ)

لم تقتصر التوجيهات نحو القمم على الشرق الجزائري فحسب، بل عثرنا عليها واضحة على المدافن الميغاليثية بإيلاّز Ellez بالقطر التونسي متمثّلة في عدد منها، وجّه رواقها المركزي الذي تحيط به عدّة غرف متموضعة على جانبيه، إلى مختلف مرتفعات السلسلة الجبلية المسيطرة على المنطقة.







عيّنة من التوجيهات إلى المرتفعات بميغاليث إيلاّز. (ت. الأستاذ)

د- التوجيه نحو الأضرحة:

نظرا لتشبث العديد من المجتمعات القديمة بقداسة بعض من المظاهر الطبيعية والتي تعدّ قمم الجبال والمرتفعات بمثابة الأماكن التي تفرض نفسها في الطبيعة، ولهذا نعتقد بأنّ عظمتها لفتت انتباه القبائل النوميدية وجعلت من نقاطها العالية محطّات لنصب عدد من معابدهم تارة ومدافن قادتهم تارة أخرى على غرار جلّ الأضرحة الملكية.

ومن جملة ما تبقّى من مخلّفات أثرية بخصوص بناء المعابد النوميدية فوق القمم، نذكر المعبد النوميدي بشمتو الذي حوّل فيما بعد إلى ضريح روماني، وهذا ما يفسّر أيضا بأنّ باقي المعابد المحلية التي كانت منتشرة في الأراضي النوميدية، أعيد استعمالها وتوسيعها وتحويلها بوجه الخصوص إلى المعبود ساتورن الذي نجد معابده تتربّع فوق نفس الهيئة الطبوغرافية.

بقي إلى غاية اليوم سلوك تبجيل الأماكن المرتفعة بما تكتسيه أيضا من السيطرة على مجال الرؤية من جميع النواحي متمثّلة في دفن العديد من العلماء والأولياء داخل أضرحة ومقامات قد تكون مصحوبة بمدارس وزوايا، وأخرى للأسلاف المحليّين كثيرا ما يتبرّك بهم وتقدّم لهم النذور وتذبح لهم مختلف الذبائح، والتي نعتقد بأنّها ممارسات بقيت موروثة من الحقب القديمة بنفس التقاليد والطقوس بإضافة لمسات تتماشى والديانات المتعاقبة.



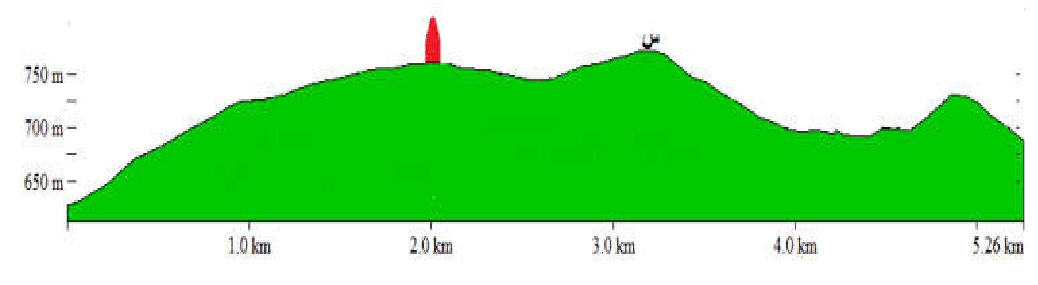
تموضع أحد الأضرحة الحديثة قرب معسكر. (ت. الأستاذ)

وبما يخصّ موضوعنا، فقد وجدنا علاقة وطيدة بين المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية والأضرحة النوميدية بمختلف أنواعها، من حيث مسائل الانتشار من حولها أو توجيه المعالم نحوها وحتى مجال الرؤية فيما بينها.

فبخصوص انتشار هذا النوع من المدافن في شكل مقابر كبيرة أو متوسّطة بمقربة مباشرة أو عن بعد قريب من الأضرحة، يطرح نقاطا هامّة حول ديناميكية السكّان والعيش في وسط مجتمع قبلي الذي يتعيّن بأنهم كانوا مستقرّين في هذا المكان، متأثّرين بالأسلاف ومقدّسين زعمائهم إلى درجة المحافظة على صلة التواصل حتى ما بعد الموت. فمن غير الصدفة هي ظاهرة:

- إحاطة ضريح المدغاسن بعدد كبير من التلال الجنائزية في محيطه الضيّق.
- إطلال ضريح تيركّابين على مقبرتي بووشّن وذراع بوتومي.
- إشراف ضريح لخروب على كل من مقابر جبل مزيلة، جبل أمسطّاس وقصر محيجيبة.
- سيطرة مدفن الشوف بشبكة السلاّوة على عدد من المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية.
- مقربة مدفن تيجيسيس المعزول من موقعي فم لحليق وجبل فرطاس أولاد عزيز

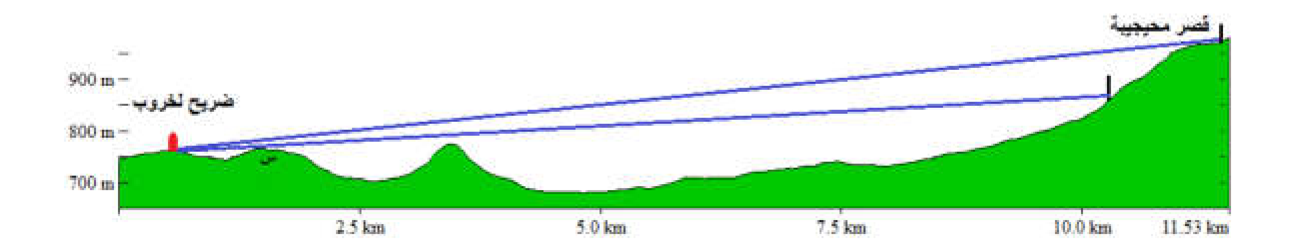
ولتدعيم أكثر لهذه الرؤية والنظرية، قمنا بإجراء دراسة تحليلية لطبوغرافية المنطقة ودورها في انتصاب الأضرحة النوميدية في أماكن معيّنة دون سواها قصد فتح مجال رؤيتها لمختلف المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية، والتي تطلّ بشكل مباشر عليها بالنسبة لكل من مقابر بووشّن، ذراع بوتومي، فم لحليق وجبل فرطاس أولاد عزيز، لتبقى المقابر الكبيرة لكل من بونوّارة، وقصر محيجيبة مترامية على شعاع يبعد بحوالي 10 كلم عن ضريح لخروب، الذي شيّد في مكانه الحالي على ربوة ترتفع بـ 768 م. عن سطح البحر كي يطلّ ويرى من المقبرتين السالفتين الذكر بكيفية واضحة رغم وجود هضبة محادية له من الجهة الشرقية ترتفع بـ 776 م. عن سطح البحر وتبعد عليه بنحو 1130م. والتي كان من المفروض استغلالها قصد إقامة الضريح بما تحتويه من مؤهلات كصلابة سطح أرضيتها الصخرية ومجال رؤيتها الواسعة أكثر. وللإجابة عن سبب إختيار القدامى ببناء ضريح لخروب على الربوة الحالية وليس على الهضبة المحادية (الهضبة س) التي ترتفع عنها بـ 8 أمتار كاملة نلخصها فيما يلي:



ارتفاع الهضبة س على سطح ضريح لخروب بـ 8 م.

– بغضّ النظر عن الجهات الشمالية والغربية والجنوبية، فإنّ ضريح لخروب في موضعه الحالي، يرى من كلتا المقبرتين الهامتين لشمال حوض بومرزوق، آلا وهما مقبرتي جبل مزيلا ببونوّارة وقصر محيجيبة قرب الهرية.

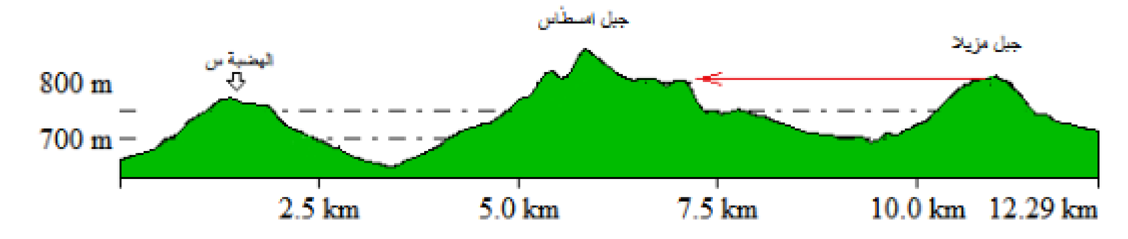
– أمّا الهضبة "س" الواقعة على محور قصر محيجيبة والضريح، ترى سوى من هذه المقبرة فقط، وتستحيل رؤيتها من مقبرة جبل مزيلا بسبب ارتفاع المنحدرات الجنوبية الغربية لجبل أمسطّاس في شطره الفاصل ما بين بونوّارة والهضبة س.



مجال الرؤية ما بين ضريح لخروب ومقبرة قصر محيجيبة.



مجال الرؤية ما بين ضريح لخروب ومقبرة جبل مزيلا.



استحالة الرؤية ما بين جبل مزيلا والهضبة "س"

المراجع:

خوخة عياتي، التعدين القديم في شمال الجزائر. دراسة الأثاث المعدني المحفوظ في متحفي سيرتا والباردو. رسالة ماجستير في علم الآثار، جامعة الجزائر،2002.

مراد زرارقة، انتشار وتنميط المصاطب لمنطقة جنوب لخروب. آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، الجزائر 2011.

عادل نجيم، المقابر الفينيقية والبونيقية في الحوض الغربي المتوسط. قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس.

Arnal J., Petit lexique du mégalithisme. BSPF. , T. 53, N°9 , 1956.

Bailloud G., Le néolithique dans le bassin Parisien. 2eme supplément à Gallia préhistoire, Paris. CNRS, 1964.

Basset R., Recherches sur la religion des Berbères. Revue de l’histoire des religions, Paris, 1910.

Bourdier F., Sur la définition de la protohistoire B.S.P.F., tome 47, N. 5. 1950.

Bourdier F., Préhistoire et protohistoire. B.S.P.F. T. 47, N°. 11-12, 1950.

Bourguignat j.R., Histoire des monuments mégalithiques de Roknia prés d’Hammam Meskhoutine.1868.

Cadenat p, Nouvelle fouille de columnata.Libyca. A.P.E., T. III.1955.

Camps G., Aux origines de la Berbèrie. Massinissa ou les débuts de l'histoire. Libyca, A.E., T. VIII, 1960.

Camps G., Aux origines de la Berbèrie, Monuments et rites funéraires protohistoriques de l’Afrique du nord. Paris, 1961.

Camps G., protohistoire de l'Afrique. Questions de terminologie. Travaux du L.A.P.E.M.O., 1989-1990.

Camps G., Chouchet. E.B. Vol. 13, 1994. P.1936.

Chabassière j., Ruines et dolmens du Fortas et de ses contreforts. R.S.A.C., T. XXIV. 1886-1887.

Cintas P., Éléments d’étude pour une protohistoire de la Tunisie. Paris, P. U. F., 1961

Cintas p., céramique punique.paris.1950.

Clottés J., Inventaire des mégalithes de la France, 5 : Lot, 1er supplément à Gallia préhistoire. 1977.

Costa J.L., Mégalithismes insulaires en Méditerranée. 2008,

Dechelette, J. Manuel d'archéologie préhistorique T.1, Paris, 1908.

Eluère Ch. Et Mohen J.P., L'age du fer, 3eme partie du livre « La protohistoire »

Fantar M-H., Tunisie terre de rencontres et de civilisation. Catalogue de l'exposition archéologique, Séville, Mai-octobre 1992, I.N.A.A., Tunis, 1992.

Fauvelle dr, quelques considérations sur les dolmenes de Roknia. c.r.de la XIX session de l'afas, limoges 1890.

Frobenius L., Der Klein afrikanische Grabbau. Praehistorische Zeitschrift, Leipzig 1916.

Giot R., Mégalithisme et société, Table ronde CNRS des Sables d'Olonne (vendée) 2-4 novembre 1987, sous la direction de Roger Joussaume.

Gobert E.G., Les poteries modelées du paysan tunisien. Rev. Tunis.1940.

Gsell S., Histoire ancienne de l'Afrique du nord. T.I. paris, 1921.

Gsell S., Les tumulus de la région de Boghar. B.A.C., 1900.

Hachid M., Les premiers Berberes. Entre Méditerranée, Tassili et Nil. Edisud 2000.

Hamy M.T., Cistes et nécropoles Berbères de l'Enfida, Tunisie moyenne. Etude ethnographique et archéologique. B.G.H.D. N° 1, P.38., 1904.

Kinnes I., Mégalithisme et société. Table ronde CNRS des Sables d'Olonne (vendée) 2-4 novembre 1987, sous la direction de Roger Joussaume.

Letourneux Sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale, Archiv. Fur anthropolgie. T. II, 1867.

Martin H., Excursion à la Nécropole du djbel el merah, B.A.H., 1881

Morel J.-P. & Camps G. , Gunugu. Encyclopédie berbère. 21 – 1999

Otte M., La protohistoire. Bruxelles, 2008.

Paris F., La préhistoire de l'Afrique de l'ouest, nouvelles données sur la période récente. 1994.

Pallary P., Instructions pour les recherches Préhistoriques dans le nord ouest de l'Afrique. Alger, 1909.

Pallary P., Note sur la classification et la terminologie du préhistorique Algérien. C.r. de la 22 eme session de l'AFAS. Besançon 1893.

Pallary p , Les monuments mégalithiques…T XXI ,1887.

Payen Cdt., Lettre sur les tombeaux circulaire de la province de Constantine. RSAC., T.VIII, Pruner-bey Dr., Crânes des dolmens de Roknia. Matériaux, T.V, 1869.

Rabourdin lt, les ages de pierre du Sahara central. Paris 1884.

Reboud Dr., Note pour servir à l'étude de la nécropole mégalithique de Sigus. B.A.H., T.18, 1863.

Reygasse M., Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du nord. A.M.G., Paris, 1950.

Paris F., Les sépultures du Sahara Nigérien du néolithique à l'Islamisation. T.2, 1996.

Thomas M., La nécropole mégalithique de Sigus. Bull. de la société Algérienne De climatologie T.13, 1878.

Vernet R., Le Sahara préhistorique entre l'Afrique du nord et le sahel, Du nord au sud du Sahara, 50 ans d'archéologie Française. Paris 2004.

http://www.universalis.fr/encyclopedie/protohistoire/

http://zaherkammoun.com/2018/01/10/la-tunisie-punique/